Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com

Economic Crises and Their Negative Effects on the Fluctuation of Commodity and Food Prices and Their Reflection on the Social Conditions of the City of Baghdad in the Abbasid era (132-656 A.H./ 750-1258 A.D)

Qais Fathi Ahmed

Asst. Prof . /Nineveh Directorate of Education / Ministry of Education / Iraq

Article information

Article history:
Received December 04. 2022
Reviewer January 05?. 2023
Accepted January 07. 2023
Available online June 1 .2023

Keywords:
Economic crises
Effects
Pices
Baghdad
Abbasid era

Correspondence:
Qais Fathi Ahmed
qfah1976@yahoo.com

Abstract

It is no secret to anyone that economic crises have negative effects on the fluctuation of prices of commodities and foodstuffs, and others, which of course must be reflected in the entirety of people's daily lives. In this sense, the rise and fall of prices affected the people's living and lifestyles. In this research, we try to show the depth of that impact on the social reality of the city of Baghdad as a model for the study, and the accompanying negative effects resulting from that disparity in prices of manifestations and negative effects on the social reality of the city of Baghdad in the Abbasid era, which witnessed many economic crises. Consequently, this caused a significant impact on the price value of the prices of various commodities and merchandise in the city's markets in terms of their height and fluctuation, which In turn, it left negative impacts on the social life of people, especially the poor and those with limited income.

DOI: 10.33899/radab.2023.178515 , ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الازمات الاقتصادية وآثارها السلبية على تذبذب اسعار السلع والمواد الغذائية وانعكاسها على الاوضاع الاجتماعية لمدينة بغداد في العصر العباسي 132-656هـ/750-1258م

قيس فتحي احمد*

المستخلص :

لا يخفى على أحد ما للأزمات الاقتصادية من آثارٍ سلبيةٍ على تذبذب اسعار السلع والمواد الغذائية وغيرهما والتي لابد بطبيعة الحال أن تنعكس على مجمل حياة الناس اليومية، ولقد تمثل ذلك التأثير من خلال بيان حركة الاسعار الخاصة بالسلع والمواد الغذائية وعامة البضائع المختلفة الاخرى وتفاوتها وتذبذبها ما بين الارتفاع والهبوط ، وهو ما آثر على الحياة المعاشية والحياتية للناس وفي هذا البحث نحاول بيان عمق ذلك الأثر على الواقع الاجتماعي لمدينة بغداد كأنموذج للدراسة لذا تناول

* أستاذ مساعد / مديرية تربية نينوى/ وزارة التربية – العراق

البحث دراسة واقع الازمات الاقتصادية وأثرها في تغير وتذبذب أسعار السلع والمواد الغذائية وانعكاسها على مجمل الحياة الاجتماعية لمدينة بغداد وما رافقها من الآثار السلبية الناتجة عن ذلك التفاوت في الأسعار من مظاهر وآثار سلبية على الواقع الاجتماعي لمدينة بغداد في العصر العباسي، التي شهدت العديد من الازمات الاقتصادية والتي كان لها تأثير كبير على القيمة السعرية لأثمان مختلف السلع والبضائع في أسواق المدينة من حيث ارتفاعها وتذبذبها التي بدورها تركت آثاراً سلبية على الحياة الاجتماعية للناس ولاسيما الفقراء والمحدودي الدخل منهم.

الكلمات المفتاحية : الأزمات الاقتصادية ، الأسعار ، الأوضاع الاجتماعية ، بغداد ، العصر العباسي

المقدمة

تعرضت مدينة بغداد إلى العديد من الأزمات الاقتصادية التي كان لها الأثر الكبير في تذبذب مستوى الأسعار للسلع والخدمات ولاسيما إذا ما أدركنا أنّها تزيد من قيم الأسعار للسلع الضرورية التي يعتاش عليها الناس ، والتي كان سببها عوامل عدة منها العوامل السياسية وما ينتج عنها من المنازعات العسكرية أو سياسة فرض المكوس والضرائب بغير وجه حق، أو ممارسة الاحتكار وما ينتج عنه من مضار كبيرة على حياة الناس أو بسبب انقطاع الطرق التجارية لعوامل عدة، أو تكون أسباب الأزمات الاقتصادية موجات الغلاء والوباء أو الظواهر الطبيعية إلى غير ذلك من الأسباب التي نالت من الناس ولاسيما الفقراء منهم أشد النيل بسبب ما تؤديه من حالة عدم الاستقرار الاقتصادي وبالتالي عدم استقرار مستويات الأسعار، لذا هدفت دراسة في هذا البحث الى توضيح الأثر السلبي للأزمات الاقتصادية على تذبذب اسعار السلع والمواد الغذائية وانعكاسها على الأوضاع الاجتماعية لمدينة بغداد في العصر العباسي على النحو الآتي :

اولا: مفهوم الأزمات الاقتصادية وآثارها السلبية على القيم السعرية لحركة الأسواق والمجتمع.

قبل البدء في الحديث عن الصلة ما بين الازمات الاقتصادية والاسعار واثرهما على المجتمع لابدّ من إعطاء تعريف موجز لما تعنيه الأزمة الاقتصادية من مفهوم ومدلول اقتصادي.

فالأزمة الاقتصادية يمكن تعريفها بأنها: اضطراب فجائي يطرأ على التوازن الاقتصادي، وينشأ عن اختلال التوازن بين الإنتاج والاستهلاك (التوازن ما بين العرض والطلب) مما يسبب الغلاء والإفلاس[1] ولما كانت الاسواق[2] هي المسرح الذي تقام عليه الفعاليات الاقتصادية بما ضمته من الحاجات الضرورية والرئيسة من السلع والمواد الغذائية المرتبطة بالحياة اليومية للناس والمتمثلة بالمأكل والمشرب والملبس نجد بروز علاقة ترابطية ذات تأثير متبادل ما بين كلٍ من السوق والعرض والطلب والسعر[3] ، فالسوق هو المكان الذي يعرض به كل ما تشتمل عليه حاجات الناس الضرورية وغير الضرورية ومفهوم الطلب يتحدد بتوجهات ورغبات المستهلك المختلفة، أمّا الأسعار فهي القيم والأثمان التي تم تحديدها لتلك السلع المختلفة ، بذلك يكون الرابط بين السوق وما يضمه والناس وحاجاتهم هو السعر والذي بحسب المقتضيات والظروف والمؤثرات المختلفة لا يكون ثابتاً ومستقراً ، وعدم ثباته هذا هو ما يؤثر في حياة الإنسان سلباً وايجاباً ، فيمكن ملاحظة أنّ وقت الرخاء الاقتصادي وكثرة العرض يتناسب عكسياً مع الأسعار ، فالاستقرار وشيوع التجارة ووفرة المواد في الأسواق تجعل من الأسعار مناسبة بفعل التنافس بين التجار (جملة ومفرد) ، مما يؤدي إلى انخفاض الأسعار وهذا ما ينعكس بالإيجاب على حياة الناس ومعيشتهم ، والعكس من ذلك عندما يكون البلد مضطرباً ويسوده عدم الاستقرار وفقدان الأمن وغياب محفزات النشاط الاقتصادي يقلّ ما يعرض في الأسوق من بضاعة وسلع متعددة وهذا ما يرافقه ارتفاع بالأسعار وعجز الناس عن تحصيلها وهو ما يؤثر سلباً على الناس.

وقد نبه العلامة ابن خلدون (ت808هـ/1405م) إلى ذلك وتحدث عن علاقة الأسعار بالأسواق فذكر: أن الأسواق كلها تشتمل على حاجات الناس فمنها الضروري وهي الأقوات من الحنطة وما معناها كالباقلاء والبصل والثوم وأشباهه ومنها

---

(1) عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب،(بيروت:1429هـ/2008م)،1/ 88.

(2) الأسواق : السوق مشتقة من سوق الناس بضائعهم، وهي تذكر وتؤنث والجمع أسواق . ينظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت458هـ/1065م)،المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، ط1، دار إحياء التراث العربي، (بيروت: 1417هـ/ 1996م)،3/ 435.

(3) السعر: تقدير ما يباع به الشيء طعاما أو غيره ويكون غلاء ورخصاً باعتبار الزيادة على المقدار الغالب في ذلك المكان ، والسعر الذي يقوم عليه الثمن وهي الأسعار وقد أسعروا وسعروا اي اتفقوا على سعر. ينظر : ابن سيده ، المخصص ،3/ 435، نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد (ت ق12هـ/17م)، دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)، ترجمه عن الفارسية: حسن هاني فحص، ط1، دار الكتب العلمية،(بيروت:1421هـ/ 2000م)، 2/ 122.

الحاجات الكمالية مثل الأدم والفواكه والملابس والماعون والمراكب وسائر المصانع والمباني فإذا توسعت المدينة وكثر ساكنوها رخصت أسعار المواد الضرورية من القوت وغلت أسعار الحاجات الكمالية من الأدم والفواكه وما يتبعها، وإذا قل سكان البلد وضعف عمرانه كان الأمر بالعكس من ذلك [4] ومن خلال ذلك نجد أن المتحكم بأسعار السوق هو مقدار العرض والطلب ونوع المادة من كونها أساسية أو من الحاجات الكمالية .

ثانياً- العوامل المؤثرة على تذبذب الاسعار وانعكاسها السلبي على المجتمع.

أشار ابن خلدون الى أثر تذبذب الأسعار وانعكاسها السلبي على المجتمع توضع فصلاً في تاريخه تحدث فيه عن اثره في ظهور المجاعات والموت ، وعلل أسباب حدوثه فذكر: أن الدولة أول أمرها لابد لها من الرفق في ملكتها والاعتدال في إيالتها " [5] فيعمُّ الرخاء الاقتصادي والاعتدال في الأسعار في اغلب أوقاتها وهذا ما يوفر للناس حاجاتهم المختلفة والمقدرة على تحصيلها بسهولة ، ويحدث العكس من ذلك في نهاية الدولة بسبب الضعف والانحلال الذي يصيبها فذكر:" وعندما تشرف الدولة على نهاية عمرها 000يكون فيها الإجحاف بالرعايا وسوء الملكة 0000 ثم إن المجاعات والموت يكثر عند ذلك في أواخر الدول والسبب فيه: إما المجاعات فلقبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات أو الفتن الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة فيقل احتكار الزرع غالباً وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر والزرع والثمار والضرع على نسبته إلا أن الناس واثقون في أقواتهم بالاحتكار فإذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات فغلا الزرع وعجز عنه أولو الخصاصة، فهلكوا وكان بعض السنوات الاحتكار مفقوداً فشمل الناس الجوع" [6]

بحسب ذلك يمكننا تقسيم الأسباب التي تؤدي الى ظهور الأزمات الاقتصادية والتي تؤثر على تذبذب قيم أسعار السلع المختلفة، واثرها السلبي على الحياة الاجتماعية للناس على النحو الآتي:

1- العوامل السياسية وأثرها السلبي على تذبذب الأسعار.

مما لاشك فيه أن الجانب السياسي له دور مهم ومؤثر على حركة الأسواق ولابدّ لذلك التأثير أن ينعكس على مقدار الأسعار ، إنّ دور الدولة في الاقتصاد يتمثل بالسيطرة والادارة والتنظيم وضخ الأموال وقت الأزمات ، فالاستقرار والازدهار الاقتصادي وحركة السلع مرهون بالطمأنينة والأمان، لذا العوامل النفسية للمجتمع تتحكم في مستويات الشراء من حيث القوة والضعف، فالتدخل السياسي الايجابي للدولة يؤدي الى استقرار الاسعار وضبطها ، بينما الظروف و العوامل السياسية السلبية تنعكس بطبيعتها على الاسواق وحركتها من بيع وشراء وبالتالي التأثير على أسعار السلع والبضائع والذي ينعكس على المجتمع بالسلب وقد تمثلت تلك العوامل السياسية السلبية على حركة الأسواق واسعارها بالحروب والفتن والاضطرابات الأمنية وانقطاع الطرق التجارية وغيرها وجميع تلك العوامل أسهمت بحصول أزمات اقتصادية انعكست آثارها على ارتفاع الأسعار وبالتالي أثرت بالسلب على المجتمع وفيما يأتي نستعرض لبعض تلك الأوضاع السياسية وآثارها السلبية على عاصمة الخلافة العباسية بغداد.

أ- المنازعات العسكرية واثرها السلبي على تذبذب الاسعار.

تعرضت مدينة بغداد سنة (252ه/866م) للغلاء وارتفاع الأسعار بسبب الخلاف والحرب التي وقعت بين الخليفة المستعين [7] وقادة الترك على أثر تركه سامراء واللجوء الى بغداد والتحصن بها بسبب سطوة الأتراك فيها، فاجتمع الأتراك بسامراء، ثم

---

(4) تاريخ ابن خلدون المعروف(ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، تحقيق: خليل شحادة، ط2، دار الفكر،(بيروت:1408ه/ 1988م)،453/1.

(5) تاريخ ،1/ 375 ،376 ،377.

(6) ابن خلدون، تاريخ ،1/ 375 ،376 ،377.

(7) المستعين أبو العباس احمد بن المعتصم بالله أبي إسحاق محمد بن الرشيد هارون بن المهدي وأمه اسمها مخارق ولد سنة(221ه/835م) ، بويع بالخلافة في ربيع الآخر سنة (248ه/862م) بعد وفاة المنتصر بالله ، كان مسرفاً مبذراً للمال، يفرق الجواهر والثياب والنفائس خلع نفسه بسبب الترك وخلافهم معه في أول سنة (252ه/866م) ، ورحل الى واسط وأقام بها تسعة أشهر محبوساً ، ثم رد إلى سامراء، فقتل في الثالث من شهر شوال وقيل: قتل ليومين بقيا من رمضان من السنة(252ه/866م)، وله إحدى وثلاثون سنة . ينظر: المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين بن علي (ت346هـ/957م)، التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، (القاهرة: د. ت)، 1/ 315 ؛ ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت709هـ/1309م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، ط1، دار القلم العربي،(بيروت: 1418هـ/1997م)، ص 237؛ الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت748هـ/1347م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط2، دار الكتاب العربي، (بيروت:1413ه/-1993م)،19/ 55, 56؛ القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت821هـ/1418م)، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج،ط2،مطبعة حكومة الكويت،(الكويت:1985)،239/1، 240.

وجهوا يعتذرون ويخضعون له ويسألونه الرجوع، فامتنع، فأخرجوا المعتز بالله [8] من الحبس، فبايعوه وخلعوا المستعين ثم جهز المعتز لمحاربة المستعين في جيش كبير فاستعد المستعين للحصار ولبناء سور بغداد وتحصينها وتجهز أهل بغداد للقتال، ونصبت المجانيق، ودام القتال أشهرا وكثر القتل، مما تسببت بموجة غلاء وارتفاع في أسعار السلع والبضائع ببغداد بشكل كبير حتى عجز الناس عن تحصيل قوت يومهم مما تسبب في نشر الفقر والجوع بين الناس، مما ضعف أهل بغداد وذلوا من الجوع والجهد ، حتى اضطر الخليفة المستعين بسبب ذلك وغيره الى خلع نفسه في أول سنة (252ه/866م)[9]

وبسبب سياسة الظلم والتعسف التي اتبعها أبو عبد الله البريدي [10] على أهل بغداد شهدت المدينة سنوات عديدة من عدم الاستقرار الاقتصادي والتذبذب في الأسعار والغلاء وانتشار المجاعة بين الناس حتى قيل" إنه كان أعظم أسباب الغلاء ببغداد"، بسبب مصادرته لأموال النّاس، وفرضه زيادة على أسعار السلع ولاسيما الحبوب فكان يفرض على كل كر [11] واحد من القمح، والشعير خمسة دنانير زيادة في أسعارها تجبى وتجمع وتذهب اليه ، وبسبب ذلك كانت الأسعار متذبذبة فبلغ ثمن الكرّ الواحد من القمح في بعض الاحيان ثلاثمائة دينار وستة عشر دينارا، كما كان يأمر اصحابه بتولي مسؤولية الإشراف على حصاد القمح والشعير الذي يقوم الفلاحون بها لضمان نقله الى مخازنه لجبايته منهم وشرائه بالثمن الذي يرغب به، فضلاً عن ظلمه للتجار وأخذه أموالهم بالباطل، واستمر ذلك الظلم والجور على الناس حتى وفاته سنة (333ه/944م)[12]

وتسبب ضعف الخلافة العباسية وتسلط البويهيين عليها ونهبهم للأموال وتسلطهم على رقاب الناس بأن شهدت بغداد الكثير من الأزمات الاقتصادية التي انعكست آثارها السلبية على الناس بسبب تذبذب أسعار السلع في الأسواق وفقدانها، ومن ذلك ما شهدته بغداد في خلافة المطيع لله [13] ففي سنة (334ه/945) وقعت الحرب بين معز الدولة البويهي[14] وبين ناصر الدولة بن

---

(8) المعتز بالله أبو عبد الله الزبير او محمد بن المتوكل على الله جعفر ابن المعتصم محمد بن الرشيد هارون بن المهدي محمد بن ابى جعفر المنصور، امه تسمى قبيحة لجمال صورتها، مولده سنة(232ه/846م) بويع بالخلافة بعد خلع المستعين بالله في أول سنة(252ه/866م) وهو ابن تسع عشرة سنة ، مات في مدينة(سر من رآى)، فى شعبان سنة (255ه/868م)، وله أربع وعشرون سنة وقيل ثلاث وعشرون سنة وكانت خلافته ثلاث سنين وستة أشهر وأربعة وعشرين يوما. ينظر: المسعودي ، التنبيه والإشراف، 1/ 316؛ ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد المعروف (ت580هـ/1184م)، الإنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق: قاسم السامرائي، ط1، دار الآفاق العربية،(القاهرة:1421هـ /2001م)، ص 128؛ الدِّيار بَكْري، حسين بن محمد بن الحسن (ت966هـ/1558م)، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر،(بيروت: د. ت)، 2/ 341،340.

(9) الذهبي، تاريخ الإسلام،55/19.

(10) البريدي : أبةعبد الله أحمد بن محمد بن يعقوب ، كان ابتداء امر أبي عبد الله البريدي وإخوته أنهم كانوا من خوص الوزير علي بن عيسى ، ورتبهم في الأعمال، وجعل البريدي يتولى ضمان الخاصة بالأهواز، ثم تولى الوزارة اكثر من مرة في عهد الراضي والمتقي لله، كانت وفاة البريدي في النصف من صفر سنة(332ه/943م) بعد ان اصيب بالمرض وقام بالأمر من بعده أخوه أبو الحسين علي. ينظر: الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله (ت335هـ/946م)، أخبار الراضي بالله والمتقي لله ، تحقيق: ج هيورث دن، مطبعة الصاوي،(مصر: 1935م)، ص134، 259؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص276، 277؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي،(بيروت:1417هـ/1997م)،6/7،723/ 101، 127.

(11) الكر: جمعه الاكرار وهو مكيال يزن 60 قفيزاً ويستعمل في العراق اكثر من غيره ويقدر القفيز مابين (12- 24) صاع. ينظر: الشذر، طيبة صالح ، الفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ، ط1، دار اقباء للطباعة والنشر والتوزيع،(القاهرة:1998)، ص251؛ محمد، علي جمعة، المكاييل والاوزان الشرعية، القدس للإعلان والنشر والتسويق،ط2،(القاهرة:2001)،ص40-42.

(12) ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكري (ت 1089هـ/1678م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، (دمشق:1406هـ/1986م)،182/4.

(13) المطيع لله : أبو القاسم الفضل بن المقتدر جعفر بن المعتضد أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل جعفر الهاشمى العباسي البغدادي، أمه اسمها شعلة ولد سنة(301ه/913م) بويع له بالخلافة عند خلع الخليفة المستكفي في جمادى الآخرة سنة(334ه/945م)، وسنه يومئذ أربع وثلاثون سنة، قرر له معز الدولة كل يوم نفقة مائة دينار فقط ، واستمرّ المطيع لله في الخلافة الى سنة(363ه/973م) حيث مرض وثقل لسانه فدخل عليه عز الدولة سبكتكين ودعاه الى خلع نفسه من الخلافة وتسليم الامر الى ابنه الطائع ففعل ذلك وعقد للطائع يوم الاربعاء ثالث عشر ذى الحجة من سنة (363ه/973م) ، فكانت مدّة خلافة المطيع تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر وعشرين يوماً ، توفى يوم الاثنين لثمان بقين من المحرم سنة(364ه/974م). ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 7/ 159؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ، 25/ 28؛ الديار بكري، تاريخ الخميس،2/ 355،354،353.

(14) ابن بويه : أبو الحسين أحمد بن بويه وهو أوّل من ملك من الديلم في خلافة المستكفى، الذي لقبه بمعز الدولة بعد تقليده للوزارة سنة (334ه/945م) ولقب أخاه أبا علي الحسن علياً ركن الدولة وخلع عليهم وأمر أن تضرب أسماؤهم على الدنانير والدراهم مع اسم الخليفة وهم أول من ضرب اسمه من ملوك الإسلام على النقود مع اسم الخليفة ، ورتب معز الدولة للمستكفي في كل يوم خمسة آلاف درهم للنفقات يتسلمها كاتبه وذلك أول ما رتب للخليفة معلوم له لا يتعداه ، ثم امر بخلع المستكفي وسمل عينيه في جمادى الآخرة من سنة (334ه/945م) وكان معزّ الدولة سريع الغضب بذيء اللسان، يكثر سبّ ، كانت وفاته ليلة الثلاثاء سابع عشر ربيع الآخر سنة (356ه/966م)، كانت إمارته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا، وعمره ثلاث وخمسون سنة. ينظر: ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد

حمدان[15]، بسبب سياسة الامراء البويهيين، فتقدم ناصر الدولة الى بغداد ونزل الجانب الشرقي منها فسيطر عليه ، وكان معز الدولة ومعه الخليفة المطيع في الجانب الغربي، فحدثت المصادمات بينهم طوال شهر شعبان من سنة (334ه/945م)، مما تسبب في رفع الاسعار وتضرر عامة الناس من تلك الحرب وخراب الأسواق وحدوث الغلاء ببغداد [16] ، وكان الجانب الغربي شدّته اكبر حتى عدمت فيه المونة والحبوب وارتفعت الأسعار كثيراً حتى بلغت كر الواحد من حنطة عشرة آلاف درهم و أكثر، وبسبب ذلك الغلاء وشدته شنّ معز الدولة البويهي حملة عسكرية كبيرة تمكن من خلالها العبور الى الجانب الشرقي وهزيمة جيش ناصر الدولة ، فقام معز الدولة بحرق الأسواق، ووضع السيف في رقاب الناس وسبى النساء وقتل العديد منهن [17] وبسبب تلك الحرب اشتد الغلاء ببغداد وفقد الطعام حتى اضطر الناس الى أكل الجيف [18] والميتة والكلاب والسنانير، وأعقبه وباء حتى عجز الناس عن دفن موتاهم [19] فهرب الناس نتيجة الجوع ونقص الطعام إلي البصرة وواسط[20] والموصل وبلاد الشام وخراسان نتيجة ذلك الغلاء[21] لدرجة خلت العديد من المنازل والدور من ساكنيها وبيعت بأثمان زهيدة [22] واستمرت الأزمة وشدتها على الناس حتى تدخلت السلطة بعد أن وضعت الحرب أوزارها ببغداد حيث قامت بتسعير السلع ولاسيما الطعام[23] وإدخال السلع والغلات ولاسيما السلع الغذائية مما ترتب عليه انخفاض الأسعار وتمكن الناس من شرائها فانخفضت حدة الغلاء[24]

وذكر اليافعي في وصف تلك الأحداث وأثرها على أهل بغداد قائلاً :" فيها دثرت بغداد، وتداعت إلى الخراب من شدة القحط والفتن والجور"[25] ونقل مسكويه (ت421هـ/1030م) وصفاً دقيقاً لما عانت به بغداد وساكنيها جراء تلك الحرب وما خلفته من الغلاء حتى ذكر:" أن الغلاء جعل الناس سباعا" في سبيل تحصيلهم الطعام ، وأعطى وصف الحال الذي كانت عليه بغداد فذكر:" وفى هذه السنة أفرط الغلاء حتى عدم الناس الخبز البتة وأكل الناس الموتى والحشيش والميتة والجيف وكانت الدابة إذا راثت اجتمع على الروث جماعة ففتّشوه ولقطوا ما يجدون فيه من شعير وأكلوه وكان يؤخذ بزر قطونا ويضرب بالماء ويبسط على طابق حديد ويجعل على النار حتى يقبّ ويؤكل ولحق الناس من ذلك في أحشائهم أورام ومات أكثرهم ، ومن بقي كان في صورة الموتى، وكان الرجل والمرأة والصبيّ يقف على ظهر الطريق وهو تالف ضرّا فيصيح الجوع الجوع إلى أن

(ت597هـ/1200م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت:1412هـ/ 1992م)، 14/ 182، 183؛ القلقشندي ، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، 1/ 300، 301؛ الديار بكري، تاريخ الخميس،2/ 353.

(15) ناصر الدولة : أبو محمد ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان بن الحارث بن لقمان التغلبي صاحب الموصل وغيرها ، بعد أن كان بها نائبا عن أبيه، لقبه الخليفة المتقي لله بلقب ناصر الدولة وذلك سنة (330ه/941م) ولقب أخاه سيف الدولة ، وكان أكبر من أخيه سناً وقدراً، له حروب ومواقف مشهودة ، تغيرت احواله بعد وفاة سيف الدولة وضعف عقله ولم يبق له حرمة عند أولاده وجماعته، فقبض عليه ولده عدة الدولة فضل الله المعروف بالغضنفر بالموصل باتفاق من إخوته وسيره إلى قلعة (أردمشت)والمسماة (كواشي) ولم يزل بها محبوسا إلى أن توفي سنة(358ه/968م) ونقل إلى الموصل ودفن بتل توبة شرقي الموصل وكانت مدة إمارته اثنتين وثلاثين سنة . ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة،(بيروت:1405هـ/ 1985م)، 16/ 186، 187؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث،(بيروت:1420هـ/ 2000م)،12/57،56؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (ت 1396هـ/1972م)، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين،(بيروت:2002م)، 2/ 195.

(16) الذهبي، تاريخ الإسلام، 25/ 28 ،29.

(17) الذهبي، تاريخ الإسلام،25/ 29؛ بن تغري بردي ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب،(مصر: د.ت)،3/ 286.

(18) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز،(مصر:1425ه/2004م)، ص286؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت774هـ/1372م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، (بيروت:1408هـ/ 1988م)،11/241.

(19) النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحة، ط1، دار الكتب العلمية ،(بيروت :1424هـ/2004 م)،23/ 187؛ ابن العماد ، شذرات الذهب،4/184.

(20) الذهبي، تاريخ الإسلام،25/ 28؛ أبو الفداء ، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت732هـ/1331م)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط1،(مصر: د. ت)،2/96؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص286؛ اليافعي ، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت768هـ/1366م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، (بيروت:1417هـ /1997م)،2/235.

(21) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 7/ 289.

(22) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 7/ 170؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص286.

(23) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 7/ 289.

(24) ابن الاثير، الكامل في التاريخ،7/170؛ مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت421هـ/1030م)،تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق: أبو القاسم إمامي، ط2، سروش،(طهران:2000 م)،6/ 127.

(25) اليافعي، مرآة الجنان، 2/ 235.

يسقط ويموت، وكان الإنسان إذا وجد اليسير من الخبز ستره تحت ثيابه وإلّا استلب منه، ولكثرة الموتى وأنّه لم يكن يلحق دفنهم كانت الكلاب تأكل لحومهم، وخرج الضعفاء إلى البصرة خروجا مفرطا متتابعين لأكل التمر فتلف أكثرهم في الطريق ومن وصل منهم مات بعد مديدة ، وكانت الدور والعقارات تباع برغفان ويأخذ الدلال بحق دلالته بعض ذلك الخبز، ولمّا زالت الفتنة ودخلت الغلات الجديدة انحلّ السعر" [26]

أمّا عن مقدار ما وصلت اليه بعض السلع ولاسيما الغذائية منها فقد ذكر أن سعر الخبز كان يباع كل اربعة أرطال [27] بقيراطين [28] بينما يذكر مسكويه أن أسعار الخبز في بغداد بعد الازمة كانت مختلفة الاسعار بين جانبيها فقال :" أمّا أسعار الخبز في الجانبين فقد ذكر أن سعر الخبز في الجانب الشرقي كان خمسة أرطال خبز بدرهم لورود السفن المحملة بالدقيق من الموصل ، أما الجانب الغربي فاستمر غلاء الخبز فيه حتى كان الرطل الواحد من الخبز بدرهم وربع ، وسبب ذلك الغلاء في أسعار الخبز يعود الى منع ناصر الدولة الحمداني ما يرد من الموصل من القمح أن يصل إلى الجانب الغربي نكاية بمعز الدولة البويهي [29] وذكر ابن الجوزي أنه باع عند اشتداد الغلاء على معز الدولة وهو مقيم بظاهر بغداد من الجانب الغربي كر حنطة بعشرة آلاف درهم. قال: ولم أخرج الغلة حتى تسلمت المال[30] كما اشتروا للخليفة المطيع كر دقيق بعشرة آلاف درهم [31]

وتستمر المعانات الاقتصادية وموجات الغلاء على أهل بغداد بفعل السياسة وتدخل الجند ففي سنة (376ه/986م) اختلف عسكر العراق ما بين شرف الدولة شيرويه[32] واخيه صمصام الدولة[33]، فذل الصمصام وبادر إلى خدمة أخيه، وعظم الغلاء ببغداد، حتى بيعت كارة الدقيق الخشكار[34] بمائتين وأربعين درهما وعجز اكثر الناس عن شرائه[35]

وبسبب ضعف الدولة ومؤسسة الخلافة العباسية التي انعكست على ضعف مؤسساتها الامنية زاد أمر العيارين واللصوص ببغداد ففي سنة (410ه/1019م)، استفحل امر العيارين واللصوص فكبسوا دور الناس نهارا وفي الليل مستخدمين بالمشاعل، وكانوا يدخلون على الرجل فيطالبونه بذخائره ويستخرجونها منه بالضرب، ولا يجد المستغيث مغيثا، ورغم المحاولات التي ابدتها اجهزة الشرطة في التصدي لهم إلا أنهم عجزوا عن منعهم ، وبسبب تلك الظروف غلت الأسعار كثيراً واثرت على مجمل

---

(26) مسكويه، تجارب الأمم ، 6/ 127.

(27) الرطل: معيار يوزن به وهو مكيال ايضاً ، يقدر بالعراق بنصف(منّ) ومقداره (130 درهماً) والرطل الشامي يقدر (600 درهم)، والرطل يقدر ايضاً بـ(12) أوقية ، والوقية مقدارها ما بين (119 غراماً حتى 127 غراماً). ينظر : العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي (ت749هـ/1057م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، ط1، (أبو ظبي:1423هـ)، 278/3؛ محمد, علي جمعة، المكاييل والموازين الشرعية ، ص29-30.

(28) القيراط: القيراط يساوي دائماً 24/1 من المثقال أو هو 14/1 من الدرهم في كل من جزيرة العرب ومصر وسوريا. هنتس , فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية , ترجمة : كامل , (عمان : 1970م)، ص10.

(29) مسكويه، تجارب الأمم ،6/ 123.

(30) ابن الجوزي، المنتظم ، 14/ 47.

(31) اليافعي، مرآة الجنان ،235/2؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،28/25؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،4/ 184.

(32) شرف الدولة شيرويه بن عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه الديلمي، ظفر بأخيه صمصام الدولة وحبسه، ثم سمله ، تملك العراق، اصابه المرض توفى على اثره في جمادى الآخرة سنة (379ه/989م)، عن تسع وعشرين سنة، وملك سنتين وثمانية أشهر، وولي بعده أخوه أبو نصر بهاء الدولة. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام،26/ 645،644؛ سير أعلام النبلاء،16/ 384.

(33) كاليجار المزربان ابن عضد الدولة تولى الحكم سنة (372ه/982م) بعد وفاة والده عضد الدولة و مبايعة القادة له على الإمارة ولقبوه صمصام الدولة، وقع الخلاف مع اخيه شرف الدولة ،الذي كان بكرمان عند موت أبيه فسار وملك فارس وقطع خطبة أخيه صمصام الدولة ، فراسله صمصام الدولة في الصلح، فاستقر الأمر على أن يخطب لشرف الدولة بالعراق قبل صمصام الدولة، ويكون صمصام الدولة نائبا عنه، فسار صمصام الدولة إلى أخيه شرف الدولة، فلقيه وطيب قلبه، فلما خرج من عنده قبض عليه، وأرسل إلى بغداد ليصادر امواله، وفي سنة (388ه/988م) في ذي الحجة قتل صمصام الدولة لشغب الديلم عليه، وعمر صمصام الدولة خمس وثلاثون سنة وسبعة أشهر وولايته بفارس تسع سنين وثمانية أيام. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم،289/14، ابن الاثير، الكامل في التاريخ،414/7،411؛ ابن الوردي، زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس(ت749هـ/1057م)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية ، ط1، (بيروت:1417هـ / 1996م)،304/1،295.

(34) الخشكار: كلمة فارسية لها معانٍ عدة تدل جميعها على نوعية من الخبز غير الجيد ، فقيل : إنها خبز النخالة ، وقيل إنها الخبز الأسمر المصنوع من الدقيق غير الجيد الذي لم تفصل عنه نخالته اليباس والجاف. ينظر: ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل(ت711هـ/1311م)، لسان العرب، ط3، دار صادر ،(بيروت: 1414هـم)،2/ 250؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ،5/ 208؛ دهمان، محمد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط1، (دار الفكر المعاصر - بيروت ، دار الفكر - دمشق :1410 هـ/1990م)، ص130.

(35) الذهبي، سير أعلام النبلاء،11/ 411.

الحياة في بغداد ، فبيع الكر من الحنطة بثمانين ديناراً، وبسبب ذلك الغلاء وفقدان الأمن هاجر العديد من الناس من مدينة بغداد الى غيرها من المدن [36]

وتجددت معاناة الناس الاقتصادية بسبب الغلاء وتذبذب الأسعار وفقدان السلع والبضائع المختلفة من الأسواق ببغداد ، ففي سنة (465ه/1072م) حدث غلاء وارتفاع في الاسعار اثر كثيراً على معيشة الناس وحياتهم اليومية وكان سبب الغلاء الممارسات التي قام بها الجند الترك من النهب لدور الناس العامة ومصادرة السلع والمواد الغذائية مما تسبب في عجز الناس عن تحصيل أرزاقهم ولاسيما القمح والخبز [37]

وتسبب الخلاف الذي وقع سنة (520ه/1126م) بين الخليفة المسترشد بالله [38] والسلطان محمود السلجوقي[39] والذي كان سببه ما نقله نواب السلطان محمود ببغداد أن الخليفة:" قويت نفسه، وازداد قوة وجمعاً، ومنعه عنه، ومتى لم تعاجله بقصد العراق ودخول بغداد"، ازداد قوة ، فتوجه السلطان محمود نحو العراق، فأرسل إليه الخليفة المسترشد بالله يعلمه واقع البلاد وما تعانيه الناس من الفقر والجوع والضنك والوهن، وأن الغلاء قد اشتد بالناس لعدم الغلات والأقوات، ويطلب منه أن يتأخر إلى أن ينصلح حال البلاد ثم يعود إليها، غير أن السلطان محمود رفض وأصر على السير الى بغداد فوصلها في العشرين من ذي الحجة سنة (520ه/1126م) ونزل بباب الشماسية[40] ودخل بعض عسكره في دور الناس، فشكا الناس ذلك إلى السلطان، فأمر بإخراجهم ، وبعد وقوع الصلح بين الخليفة والسلطان من خلال بذل المال وحمله من قبل الخليفة الى السلطان، وقد استمر السلطان ببغداد إلى شهر ربيع الآخر سنة(521ه/1127م) [41] مما كان له اثر بالغ على حركة الاسواق وتذبذب الاسعار للسلع والمواد الغذائية بسبب كثرة متطلبات الجند مما انعكس على قلة المعروض منها وندرته مما أثر على الحياة المعاشية للناس التي فرجت برحيلهم عن المدينة.

كما تسببت كثرة العسكر التركي في بغداد سنة (543ه/1148م) في غلاء الأسعار وندرتها،[42] وحدوث القحط، ومما زاد في المحنة دخول أهل القرى والرساتيق إلى بغداد لكونهم نُهبوا فهلكوا جوعاً [43]

ب- المكوس والضرائب واثرها السلبي على تذبذب الأسعار.

هناك علاقة ما بين الضرائب التي تفرض والأسعار ، فذكر ابن خلدون في ذلك تعليلاً بيّن من خلاله ذلك الترابط فذكر:" والمكوس تعود على البياعات بالغلاء، لأن السوقة والتجار كلهم، يحتسبون على سلعهم وبضائعهم، جميع ما ينفقونه، حتى في مؤونة أنفسهم، فيكون المكس لذلك داخلاً في قيم المبيعات وأثمانها فتعظم نفقات أهل الحاضرة وتخرج عن القصد إلى الإسراف

---

(36) ابن الجوزي، المنتظم، 15/ 171.

(37) اليافعي، مرآة الجنان، 3/ 69.

(38) المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدى أبي القاسم عبد الله العباسى أمّه تسمى لبابة ومولده فى حدود سنة (485ه/1092م)، بويع له بالخلافة في سنة(512ه/1118م)، كان فاضلاً شجاعاً ديناً سمع الحديث وقال الشعر ، جرت بين الخليفة المسترشد وبين السلطان مسعود وحشة، وتفاقم الأمر فيها وأفضى الحال إلى الحرب، التي هزم بها عسكر المسترشد ونهب عسكره ، فوصل كتاب السلطان سنجر إلى مسعود يأمره بالإحسان إلى الخليفة وإعادته إلى بغداد مكرماً معززاً فامتثل مسعود لجميع ذلك ، فلما وقع العزم على العود إلى بغداد ، هجم جماعة من الباطنية على المسترشد فضربوه بالسكاكين في مخيمه بقرية بينها وبين مراغة فرسخ واحد وقتلوا معه جماعة من أصحابه وحين علم مسعود بذلك ركب منزعجاً مظهراً للجزع وأخذ القوم فقتلهم، ثم نقل المسترشد إلى مراغة فدفن بها، واختلف الناس عند قتل المسترشد في سبب قتله، فقال قوم: إن مسعودا لم يعلم بذلك ولا رضي به، وقال قوم: بل مسعود هو الذي واطأ الباطنية على قتله وأمرهم بذلك، لأنه خافه حيث قويت نفسه على جمع الجموع و الجيوش، ولم يمكنه قتله ظاهرا، ففعل ما فعل من الإحسان إليه ظاهرا ثم إنه أخرج جماعة من أهل الجرائم فقتلهم وأوهم الناس أنه قد قتل قتلته، ثم أطلقهم سرا، وذلك فى سابع عشر ذى القعدة سنة (529ه/1134م). ينظر: ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص292،291،290؛ الديار بكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس، 2/ 362،361.

(39) السلطان محمود مغيث الدّين أبو القاسم بن السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السّلجوقي، ولي بعد أبيه سنة (512ه/1118م)، وخطب له ببغداد ، كان متوقد الذكاء، حافظاً للأشعار والأمثال، عارفاً بالتاريخ والسّير، محباً لأهل العلم والخير، مات بمرض أصابه بمدينة همذان في شوال سنة (525ه/1130م) وسلطنوا بعده أخاه طغرل، فمات بعد عامين، ثم تسلطن أخوهما مسعود ، وكان عمر السلطان محمود لما توفي نحو سبع وعشرين سنة وكانت ولايته السلطنة اثنتي عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما. ينظر: نظام الملك، أبو علي قوام الدين الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي(ت485هـ/1092م)، سياست نامه أو سير الملوك، تحقيق: يوسف حسين بكار، ط2، دار الثقافة ،(قطر: 1407)، ص 157؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص186؛ ابن الجوزي، المنتظم، 17/ 264- 72؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ،9/ 30،29؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء،19/525،524؛ ابن العماد، شذرات الذهب،6/126.

(40) الشماسية: وهي محلة منسوبة إلى بعض شماسي النصارى ، موقعها مجاور لدار الروم التي في أعلى مدينة بغداد، وإليها ينسب باب الشماسية، وفيها كانت دار معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه. ينظر: الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، ط2، دار صادر،(بيروت:1995م)،3/361.

(41) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 8/ 706،705، 707.

(42) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 9/ 109.

(43) ابن الجوزي، المنتظم، 18/66؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،37/16.

ولا يجدون وليجة عن ذلك لما ملكهم من أثر العوائد وطاعتها، وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات، ويتتابعون في الإملاق والخصاصة، ويغلب عليهم الفقر، ويقل المستلمون للبضائع، فتكسد الأسواق وتفسد حال المدينة" [44]

ويعلل ابن خلدون سبب ارتفاع الأسعار وحدوث الغلاء في المدن بعكس اهل البادية والريف بقوله:" الأسعار في الأمصار أغلى من الأسعار في البادية إذ المكوس والمغارم والفرائض قليلة لديهم أو معدومة، وكثرتها في الأمصار ولا سيما في آخر الدولة" [45] اي في وقت ضعفها وانحلالها.

ففي عهد الخليفة المستكفي[46] الذي تميز عهده بالضعف السياسي وهيمنة البويهيين وتحكمهم بمصائر الناس واستيلاء معز الدولة على مؤسسة الخلافة ، نجده يفرض الضرائب والمكوس المختلفة على الناس وأخذ أموال من غير وجهها، لتامين رواتب وأرزاق وعطايا الجند الخاصين به وما يطلبون من الزيادة في كل مرة، فعندما طلب الجند أرزاقهم على عادتهم وأكثروا في الطلب، اضطر إلى ضرب المكوس وأقطع قواده وأصحابه من أهل عصبة [47] وهذا ما انعكس على الأسعار من حيث الارتفاع لأن أصحاب السلع والبضائع كان لابد لهم من التعويض وهذا لا يكون إلا على حساب زيادة الأسعار المفروضة على السلع والمواد الغذائية المختلفة مما ينعكس بالسلب على الحياة اليومية للناس ويصعب معها الحصول على مختلف حاجاتهم الضرورية بسبب ارتفاع الأسعار، التي يرافقها زيادة مظاهر الفقر والجوع ، ما يدفع الناس للخروج الى الشوارع والسكك منددين بتلك الاجراءات المجحفة، ففي شهر محرم سنة (323ه/934م) ضج الناس من غلاء السعر ببغداد بفعل ما فرض من الضرائب والمكوس على الناس والتي بسببها ارتفعت الأسعار كثيراً، فقد بيع كر القمح بمائة وعشرين دينارًا[48] ووصلت أسعار الخبز كل أربعة أرطال بدرهم، وأظهر الكثير من الناس يشكون الجوع والفقر[49]

وتستمر محنة أهل بغداد من كثرة الضرائب المفروضة من قبل البويهيين وتأثيرها على تذبذب اسعار السلع والمواد الغذائية فيها، ففي سنة(377ه/987م) زادت مظاهر الغلاء بفعل تلك الضرائب، حتى وصف بأنه" غلاء دون الوصف"، مما دفع شرف الدولة البويهي [50] الى الإعلان عن رفع المظالم والضرائب من أجل تخفيف حدة الغلاء ومعاناة الناس منه [51] فكان ذلك الارتفاع في مقدار الأسعار يؤثر في حياة الانسان اليومية من خلال سعيه لطلب الرزق فيصبح عاملاً لظهور الفقر والجوع وحالات التسول.

ج- الاحتكار وأثره السلبي على تذبذب الأسعار.

يمكن تعريف الاحتكار: بأنه حبس السلع التي يكثر الطلب عليها بقصد رفع سعرها وغلائها[52] أي احتباسه لانتظار الغلاء ، وزاد الزمخشري بتعريفه فذكر:" احتكر الطعام احتبسه ، وفلان حرفته الحكرة وهي الاحتكار" وليس عموم الطعام مراداً بل المراد اشتراء ما يقتات وحبسه ليقلّ فيغلو [53] والحكر : وهو الجمع والإمساك وهو الاحتكار أي يحصل جملة من القوت ويجمعها ويمسكها يريد نفع نفسه بالربح وضرّ غيره، وقد نهى الاسلام عن الاحتكار وعدّ فعله إجراماً وحراماً ، وإن كان ملكاً للمحتكر ، وخصمه الله يوم القيامة لأن المحتكر أراد إصلاح بدنه وكثرة ماله من ذلك الفعل على حساب معاش وارزاق الناس

---

(44) ابن خلدون ، تاريخ، 466/1.

(45) ابن خلدون، تاريخ ،1/ 455.

(46) الخليفة المستكفي بالله أبو القاسم عبد الله ابن الخليفة المكتفي بالله علي بن المعتضد أحمد بن الموفق العباسي، بويع بعد خلع الخليفة المتقي لله في شهر صفر سنة(333ه/944م) وله يومئذ إحدى وأربعون سنة ، وقع الخلاف بين الخليفة المستكفي ومعز الدولة البويهي فقبض عليه معز الدولة في جمادى الآخرة سنة(334ه/945م) وساقه ماشيا إلى دار معز الدولة فاعتقل بها، وسملت عيناه، وسجن وبايعوا بعده المطيع لله الفضل ابن المقتدر بالله، توفي سنة (338ه/949م) في السجن عن ست وأربعين سنة كانت خلافته ستة عشر شهرا. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ، 25/ 104،103؛ سير أعلام النبلاء، 15/ 111، 113؛ ابن كثير، البداية والنهاية،11/ 240،239؛ بن تغري بردي، أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي(ت874هـ/1469م)، مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية،(القاهرة: د.ت)،1/ 199.

(47) ابن خلدون، تاريخ ،3/ 523.

(48) الذهبي، تاريخ الإسلام ،33/24.

(49) الصولي ،أخبار الراضي بالله والمتقي لله ، ص61.

(50) اليافعي، مرآة الجنان ،2/ 305؛ الذهبي ، العبر في خبر من غبر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت،(الكويت:1984)،2/ 149؛ ابن العماد ، شذرات الذهب،4/407.

(51) اليافعي، مرآة الجنان،2/ 305؛ الذهبي، العبر،2/149؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،4/407.

(52) الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(ت666هـ/1267م)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، (بيروت/صيدا:1999م)، ص 78.

(53) المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (ت1031هـ/1621م)،فيض القدير، دار الكتب العلمية، ط1، (بيروت:1415ه/1994م)،1/236.

وهذا مكسب حرام [54] وذكر ابن خلدون :" ومما اشتهر عند ذوي البصر والتجربة في الأمصار أن احتكار الزرع لتحين أوقات الغلاء مشئوم، وأنه يعود على فائدته بالتلف والخسران، وسببه والله أعلم أن الناس لحاجتهم إلى الأقوات مضطرون إلى ما يبذلون فيها من المال اضطراراً فتبقى النفوس متعلقة به وفي تعلق النفوس بماله سر كبير في وباله على من يأخذه مجاناً ولعله الذي اعتبره الشارع في أخذ أموال الناس بالباطل" [55]

وكثيراً ما شهدت أسواق مدينة بغداد ظاهرة الاحتكار والحبس للسلع والمواد الغذائية بقصد رفع سعرها من قبل التجار او المتنفذين من الامراء والساسة، ففي سنة(307ه/919م) ضجت العامة في مدينة بغداد من الغلاء الذي أصاب المدينة بسبب سياسة الاحتكار التي مارسها ضامن أعمال الخراج حامد بن العباس[56]، حتى قيل إنه جمع بسبب احتكاره وخزنه للغلال والسلع الأساسية أموالاً كثيرة لدرجة أن الخليفة المقتدر بالله [57] سر من عمله ذلك في اول الأمر لما جمع من المال ، فبسط يده في الأعمال والنواحي يعمل بكل حرية [58] وبسبب ذلك الاحتكار ارتفعت أسعار السلع والمواد ببغداد ومحيطها، فثارت العامة والخاصة لذلك، واستغاثوا، وكسروا المنابر[59] فعمَّ الاضطراب بين الناس بسببه، فاندفعت العامة تكسر وتخرب حتى عطلت الصلاة بسبب ذلك الشغب ، وقصدوا دار الروم[60] ونهبوها، كما نهبت عدد من دكاكين الدقاقين [61] ودار الضمان حامد بن العباس ، فخرج إليهم غلمانه فحاربوهم، ودام القتال أياماً، وقع فيه قتلى بين الطرفين ، ثم تجمع من العامة اعداد كبيرة ، فاحرقوا الجسر، وفتحوا السجون، ونهبوا دار صاحب الشرطة، ولم يتركوا له شيئاً، واختلت أحوال الدولة وكثرت الفتن [62] وكل ذلك بسبب الغلاء الذي أحدثه احتكار وخزن الغلال من قبل الضامن حامد بن العباس وغيره من القادة، عندها استشعر الخليفة المقتدر بالخطر فأمر بإحضار الضامن حامد بن العباس [63] إلى دار الخليفة المقتدر في الطيار، وعندما شاهدته العامة ثاروا عليه ورجموه بالحجارة فهرب ، فأمر المقتدر بتسكينهم وذلك من خلال فتح مخازن القمح والشعير التي تعود للضامن حامد بن العباس، ولأم الخليفة المقتدر، وغيرهما، وبيع ما فيها ببغداد [64] كما امر بإعفاء الضامن حامد بن العباس من عمله ، وأمر علي بن عيسى [65] أن يتولى ذلك،[66] وامر الخليفة كلاً من هارون بن غريب[67] وابراهيم بن بطحاء [68] المحتسب بالعمل على

---

(54) المناوي، فيض القدير،46/6.

(55) ابن خلدون ، تاريخ ، 1/ 498؛ ابن الأزرق، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الأصبحي الغرناطي (ت896هـ/1490م)، بدائع السلك في طبائع الملك،1، تحقيق: د. علي سامي النشار، وزارة الإعلام ،(العراق: د. ت)، 2/ 317،316.

(56) حامد بن العباس أبو الفضل الخراساني العراقي الوزير الكبير مولده في سنة(223ه/837م)، عرف عنه الشجاعة والمروءة، وكثر التصدق والسخاء والكرم ، كان ينصب في داره عدة موائد يطعم بها حتى العامة والخدم، كان كثير الأموال والمماليك حتى بلغ عنده أربع مائة مملوك مع السلاح، تقلد أعمال سواد العراق وواسط ونواحيها، ثم ضمن خراج البصرة وكور دجلة، فكان يعمر ويرفع المؤن ، استوزره الخليفة المقتدر بدل ابن الفرات في سنة (306ه/918م) فدبر الأمور، وعمل على مصادرة ابن الفرات، ووقع بينه وبين الوزير علي بن عيسى الاختلاف على الأموال فعزل سنة(311ه/923م) وأعيد ابن الفرات إلى الوزارة وهي وزارته الثالثة فقبض على حامد وعذبه وصادر أمواله، ثم نفي إلى واسط فدسّ عليه ابن الفرات من قتله بالسم، و توفي في رمضان، سنة(321ه/933م). ينظر: مسكويه، تجارب الأمم ،5/ 77،11؛ ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص157؛ ابن الجوزي، المنتظم، 13/231،228؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ، ص262؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ،14/359،358،357،356.

(57) المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن أبي أحمد طلحة بن المتوكل على الله العباسي، أمّه اسمها شعب ، بويع له بالخلافة بعد أخيه المكتفي في سنة (295ه/907م) وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وما ولي أحد قبله أصغر منه، عرف عنه حبه للشهوات مبذراً للمال ، شهدت الخلافة في عهده الضعف والهوان فقد خلع في أول خلافته، وبايعوا ابن المعتز بدلاً عنه ، ثم لم يتم ذلك و قتل ابن المعتز، فعاد الى الخلافة ، ثم خلع ثانياً سنة (317ه/929م)، وبايعوا أخاه القاهر، ثم اعيد مرة ثالثة، ثم في المرة الثالثة قتل في حربه مع الامير مؤنس قرب واسط حيث رماه بربري بحربته فسقط فذبح، ورفع رأسه على رمح وقدم إلى مؤنس ، لثلاث بقين من شوال سنة (320ه/932م)، عاش ثماني وثلاثين سنة جاء بعده أخوه القاهر. ينظر: ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص253؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ،15/ 56،55،46،43؛ القلقشندي، مآثر الإنافة ،1/280،274؛ الديار بكري، تاريخ الخميس،2/ 345.

(58) النويري ، نهاية الأرب ،23/ 29.

(59) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،6/663،662.

(60) دير الروم: محلة تقع شرقي بغداد، منسوبة إلى الروم، بسبب قدوم جماعة من الروم إلى بغداد فأسكنوا بهذه المحلة فنسبت اليهم وعرفت بهم. ينظر: ابن عبد الحق البغدادي، صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي (ت739هـ/1338م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط1، دار الجيل، (بيروت:1412هـ)،2/ 561.

(61) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت310هـ/922م)، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، ط2، دار التراث،(بيروت:1387هـ)،11/216.

(62) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،6/ 663،662؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ،23/30.

(63) الطبري، تاريخ الطبري، 11/ 216.

(64) ابن الاثير، الكامل في التاريخ،6/ 662.

(65) أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح من أهل ديرقني، ومولده يوم الجمعة لثمان خلون من جمادى الأولى سنة (245ه/859م)، كان رجلاً عاقلاً متديناً متعففاً، فاضلاً ديناً، ورعاً متزهداً ، عارفاً بالأعمال حافظاً للأموال، كثير الوقار والجد بعيداً عن التبذل والهزل، شحيحاً في طباعه، وتجهم ظاهر في أخلاقه ، كان شيخاً من شيوخ الكتاب، كتب في الدواوين ، اشار الامير مؤنس الى

وضع تسعيرة محددة للسلع ولاسيما القمح والشعير بسبب ندرتها، فسعروا الكر الواحد من الدقيق بخمسين ديناراً، فرضي الناس وسكتوا بعد انخفاض أسعار مختلف السلع واطمأنوا [69]

د- انقطاع الطرق التجارية وآثارها السلبية على تذبذب الاسعار.

أدت الطرق التجارية دوراً مهماً واساسياً في النشاط التجاري ، وكان اي خلل يصيبها سرعان ما ينعكس بالسلب على مجمل ذلك النشاط التجاري وسبب ذلك أن الطرق التجارية تعد الشرايين المغذية لحياة الأسواق بفعل ما ينقل من خلالها من السلع والبضائع المختلفة الضرورية لحياة الناس فإذا اصابها الخلل والانقطاع اثر ذلك على رفد الاسواق بالحاجات الاساسية والضرورية من السلع والبضائع المتنوعة مما انعكس ذلك الخلل على ندرة المعروض منها وارتفاع أسعار ما وجد منها وهذا ينعكس بالسلب على مجمل حياة الناس ومعاشهم اليومي بسبب تذبذب أسعار تلك السلع المختلفة.

وافضل تعبير عن اثر اضطراب الطرق التجارية على الأسعار ما ذكر عنه" فإذا اضطربت الطرق، وانقطعت الرفاق، وانحصر الناس في البلاد، وظهرت دواعي الفساد، ترتب عليه غلاء الأسعار، وخراب الديار، وهواجس الخطوب الكبار، فالأمن والعافية قاعدتا النعم كلها، ولا يهنأ بشيء منها دونها"[70]

وقد شهدت مدينة بغداد العديد من موجات الغلاء والتذبذب في أسعار السلع والمواد المختلفة المعروضة في الأسواق بسبب اضطراب طرق التجارة الموصلة لتلك السلع الى الأسواق الداخلية ومن ذلك ما حدث في مدينة بغداد سنة(272هـ/885م) فقد ارتفعت اسعار مختلف السلع كثيراً بسبب انقطاع طرق التجارة الواصلة اليها من مدينة سامراء وسببه يعود لمنع أهل سامراء السفن المحملة بالسلع المختلفة ومنها الغذاء من التوجه نحو بغداد عبر نهر دجلة وذلك في النصف من شهر رمضان، فحدث بسبب ذلك شحة بالمواد فارتفعت الأسعار وغلت أثمان ما وجد منها في أسواق بغداد ، فانعدم وجود الدقيق وقلّ الزيت والصابون والتمر وغير ذلك، طوال شهر رمضان وشهر شوال ، لذا ضجت الناس بسبب ذلك الغلاء واجتمعت للوثوب على محمد ابن طاهر الطائي، الذي قيل إنه سبب منعها ، فانصرفوا من مسجد الجامع للنصف من شوال إلى داره بين باب البصرة وباب الكوفة وجاءوه من ناحية الكرخ فأصعد الطائي أصحابه على السطوح فرموهم بالنشاب وأقام رجاله على بابه وفي فناء داره بالسيوف

الخليفة المقتدر بالله بتوليته الوزارة ، فاستدعاه من مكة وقلده في اليوم العاشر من المحرم سنة(301ه/913م) وأجرى المقتدر بالله لأبي الحسن علي بن عيسى خمسة آلاف دينار في كل شهر، وارتجع الضياع العباسية التي كانت جعلت لابن الفرات وغيره، ورتب الأمور والدواوين على ما رأى فيه الصلاح والسداد، ، فأوحش بذلك خواص المقتدر بالله وعاداهم، وكثرت به السعاية عليه والوقيعة فيه واستثقل أكثر الناس موضعه، وضاقت صدورهم بنظره، ووقع الشروع في إفساد أمره، وتغيير رأي المقتدر بالله فيه، ورد ابن الفرات كانت وفاته سنة(335ه/946م). ينظر: الصابي، أبو الحسن الهلال بن المحسن (ت448هـ/1056م)، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان(القاهرة/د.ت)، ص305، 307؛ المقدسي، أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد الهمذاني(ت521هـ/1127م)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية ، ط1،(بيروت:1958)،ص153؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 6/ 662؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص261.

(66) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 6/ 662.

(67) هارون بن غريب هو خال الخليفة المقتدر بالله ، كان مقيماً بالدينور (وهي قصبة تعد من أعمال الكوفة) ، متقلّد أعمال الخراج والضياع بها وبغيرها ولما مات المقتدر وتولى الراضي الخلافة رأى أنّه أحقّ بالدولة من الراضي، فكاتب جميع القادة أنّه إن تولى الخلافة وتقلّد رئاسة الجيش وتدبير الأمور أطلق لهم أرزاقهم على التمام ولم يؤخّر عنهم شيئاً منها، وسار إلى بغداد حتّى وصل خانقين ، مما أثار الوزير أبا عليّ ابن مقلة وغيره والخليفة الراضي فسعى لبذل المال له وتحقيق كل ما يطلب، غير أنه رفض وتقدم بجيشه الى بغداد، فبعث إليه محمد بن ياقوت يتلطف به فلم يرتدع، فاشتبكت طلائع جيشه مع طلائع جيش الخليفة فانتصر عليهم ، ثم تقدم إلى قنطرة نهر يريد العبور الى الضفة الثانية والاشتباك مع جيش الخلافة ، وفي أثناء عبوره القنطرة واشتباكه بالحرب أنفرد عن أصحابه على شاطئ النهر، فتقنطر به فرسه، وبادره مملوك فقتله، فتمزق جيشه، ونهب وذلك في يوم الثلاثاء لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة(305ه/917م). ينظر: الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله، ص5، 7؛ مسكويه، تجارب الأمم ،397،398/5؛ المقدسي، تكملة تاريخ الطبري، ص19؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ،25،26/24.

(68) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن علي بن بطحاء بن علي التميمي البغدادي المحتسب ، كان ثقة فاضلاً، ولد سنة (250ه/864م)، تولى حسبة بغداد، وتوفي يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة(332ه/943م). ينظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت 463هـ/1070م)، تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي،(بيروت:1422هـ/ 2002م)؛ ابن الجوزي، المنتظم ، 13/ 307؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ، 25/ 73؛ ابن كثير، البداية والنهاية،194/11.

(69) الطبري، تاريخ الطبري، 11/ 78، 216؛ المقدسي، تكملة تاريخ الطبري، ص21؛ القرطبي، عريب بن سعد (ت369ه/979م)، صلة تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،(بيروت: د. ت)، ص59.

(70) الجويني ، ركن الدين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني (ت 478هـ/1085م)،غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق: عبد العظيم الديب،ط2، مكتبة إمام الحرمين،(الرياض:1401هـ)،ص 212.

والرماح فقتل بعض العامة وجرحت منهم جماعة ولم يزالوا يقاتلونهم إلى الليل فلما كان الليل انصرفوا وباكروه من غد فركب محمد بن طاهر فسكن الناس وصرفهم عنه [71]

وبسبب ضعف الخلافة العباسية تكرر انقطاع الطرق التجارية القادمة الى بغداد ففي سنة(448ه/1056م) انقطعت الطرق عن العراق للخوف من النهب، فغلت الأسعار، وكثر الغلاء، وتعذرت الأقوات وعانى الناس الفقر والجوع ، فكان يباع رطل اللحم بقيراط ، وأربع دجاجات بدينار، ورطل شراب بدينار، وسفرجلة بدينار ، ورمانة بدينار، وكل شيء كذلك[72] وتزايد الغلاء، فبيع كر الحنطة بمائة وثمانين ديناراً، والكارة الخشكار الرديئة بسبعة دنانير[73]

وفي سنة (448ه/1056م) كان الغلاء شديداً على الناس والخوف والنهب كثيراً ببغداد بسبب انقطاع طريق القوافل التجارية القادمة الى بغداد خوفاً من النهب الذي يقوم به الأعراب المنتشرة في محيطها ، حتى أن أهل نواحي بغداد القريبة كانوا يجيئون بتجارتهم مع الحرس يحميهم مخافة النهب فيبيعون بضاعتهم ببغداد ويعودون [74] وهذا ما تسبب في زيادة الأسعار وتعذرت الأقوات وغيرها [75] واصاب الفقراء والمحتاجين معاناة كبيرة [76] بالارتفاع المستمر لأسعار السلع والمواد الغذائية وتذبذب أسعارها ، وارتفع الكر الواحد من الحنطة الذي كان يساوي نيفاً وعشرين ديناراً الى تسعين دينارا، وبيع اللحم رطلا بقيراط، وأربع دجاجات بدينار، ونصف قفيز [77] أرز بدينار، ومائة كراثة بدينار، ومائة أصل خس بدينار، وتعذر التبن حتى كان يباع الكساء من التبن بعشرة قراريط [78]

ثانيا : اثر موجات الغلاء والوباء والظواهر الطبيعية على تذبذب الأسعار وانعكاسها على المجتمع.

1- موجات الغلاء وآثارها السلبية على تذبذب الأسعار .

يحدث الغلاء بسبب الارتفاع الذي يصيب أسعار السلع والمواد المختلفة المعروضة في الأسواق إما بسبب قلة المعروض منها بحيث لا يتلائم مع مقدار الطلب الحاصل عليها او لفقدها من الأسواق بصورة مفاجئة من السوق مما يحدث خللاً فيها بين الطلب والعرض ينتج عنه ظهور الغلاء وارتفاع الاسعار كثيراً ولاسيما السلع التي تمسُّ الحياة اليومية والمعاشية للناس وفي مستهل الحديث لابد من اعطاء تعريف لمفهوم الغلاء.

لقد عرف الغلاء على انه غلاء للأسعار فيقال غلت غلاء اي ارتفع وغلا[79] ، وغلا السعر يغلو غلاء وأغليته - جعلته غالياً وغاليت به إذا جاوز القدر فيه، والغلاء نقيض الرخص[80] لأنه ارتفع وزاد عن الحد المقبول، لمنع استيراد البضاعة فغلا سعرها[81]

لقد تعددت السنوات التي اصاب الغلاء بها مدينة بغداد مما ترك آثاراً سلبية على الأسعار والسلع المختلفة من خلال تذبذبها وعدم استقرارها مما ينعكس ذلك الاضطراب على الحياة اليومية والمعاشية للناس ومن ذلك ما أصاب بغداد سنة(260ه/873م) من غلاء كبير نتج عنه ارتفاع أسعار السلع والمواد الغذائية كثيراً حتى بلغ سعر الكرّ الواحد من الحنطة مائة وخمسين ديناراً

---

(71) الطبري، تاريخ الطبري،5/ 593.
(72) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 8/ 144.
(73) ابن الجوزي، المنتظم،8/16.
(74) ابن الجوزي، 5/16؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 144/8.
(75) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 8/ 144.
(76) ابن كثير، البداية والنهاية،12/ 86.
(77) القفيز: يساوي القفيز في مصر ثمانية مكاكيك، أي (12) أو (24) صاعاً، ويساوي أيضاً (128) رطلاً ، وفي بلاد الشام يساوي (14) سنبلاً، ويساوي (44.816) كغم[77]. ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان، ص68.
(78) ابن الجوزي، المنتظم،5/16؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 8/ 144.
([79]) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني(ت395هـ/1004م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،(دمشق:1399هـ / 1979م)،4/ 387؛ النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت676هـ/1277م)، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبد الغني الدقر، ط1، دار القلم،(دمشق: 1408)، ص186.
([80]) ابن سيده ، المخصص،435/3؛ الحميرى، نشوان بن سعيد الحميري اليمني(ت 573هـ/1177م)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري ، وآخرين، ط1، (دار الفكر المعاصر :بيروت/ دار الفكر: دمشق:1420هـ/ 1999م)،8/ 4991.
([81]) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة،2/ 1638.

[82] وبيع القفيز من الحنطة بأربعين درهما[83] وبلغ كر الشعير مائة وعشرين ديناراً واستمر ذلك عدت شهور وبطبيعة الحال نال الناس نتيجة تلك الشدة والمعاناة وصعوبة تحصيل الخبز لفقدهم لتلك الحبوب [84]

وفي الصدد نفسه تعرضت مدينة بغداد سنة (269ه/882م) الى الغلاء الشديد الذي تسبب برفع أسعار الكثير من السلع والمواد، ومن بينها ارتفاع أسعار الحبوب حيث بلغ الكر الواحد من الشعير مائة وعشرين ديناراً، واستمر ذلك شهوراً[85] حتى ذكر أن الخبز عدم في بغداد لخمسة أيام متتالية لا يوجد فيها، مما ترك آثاراً سلبية كبيرة على أهالي المدينة وتسبب بموت العديد من الناس ولاسيما الضعفاء منهم [86]

وتكرر الغلاء سنة (358ه/968م) بمدينة بغداد مما تسبب في رفع الأسعار وبخاصة الحبوب ، فقد بيع الكر من القمح بتسعين ديناراً ثم ارتفعت الأسعار حتى كاد الخبز ينعدم من المدينة [87] فاضطرب الناس وأضطر قسم من السكان للخروج من بغداد ، إلى الموصل وبلاد الشام وخراسان من الغلاء وكاد الناس أن يهلكوا لولا وصول الغلات اليها[88]

وحدثت زيادة في الأسعار ببغداد سنة(364ه/974م) بخاصة في شهر رجب فقد زادت الأسعار زيادة كبيرة بسبب فقدان السلع والمواد الغذائية والحبوب، حتى بيع الكر الواحد من الدقيق بمائة ونيف وسبعين دينارا، والعشرة الأمناء[89]من السكر بنيف وأربعين درهماً، والتمر ثلاثة أرطال بدرهم، حتى أن الأعلاف الخاصة بالحيوانات قلت كثيراً في الأسواق، فبيع الحمل من التبن بعشرة دراهم [90] ومما لا شك فيه أن ذلك تسبب في انتشار الجوع والفقر بين عامة الناس ولاسيما الفقراء منهم وحتى الحيوانات أصابها الجوع لقلة الأعلاف.

وتكرر الغلاء سنة (373ه/983م) مما تسبب برفع الأسعار فبلغ سعر الكرّ من القمح أربعة آلاف وثماني مائة درهم، وهذا مالم يحدث من قبل ثم زادت الأسعار كثيراً حتى اصبح سعر الكارة الواحدة من الدقيق مائتين وستّين درهماً ، مما عجز الكثير من الناس عن الشراء بعد أن شحّ بشكل كبير ومات خلق كثير جوعاً بسبب ذلك[91]

وفي سنة (378ه/988م) اشتدّ الغلاء ببغداد مما زاد في الأسعار ولاسيما الغلات في شهر محرم، فبيعت كارة الدقيق بستين درهماً ثم عدم الأقوات وظهر الموت بين الناس [92] وتكرر الغلاء سنة (383ه/993م) فبيعت كارة الدقيق بمائتين وستين درهماً، وكر الحنطة بستة آلاف وستمائة درهم [93]

وفي سنة (411ه/1020م) كثر الجوع ببغداد بسبب الغلاء وارتفاع الأسعار واشتدت المجاعة بين الناس حتى اضطر بعض الناس الى أكل الكلاب والبغال والحمير بسبب الجوع [94]

وتسبب الغلاء الذي حدث ببغداد سنة (526ه/1131م) في ارتفاع الأسعار كثيراً حتى بلغ سعر الكر الواحد من الشعير اثني عشر ديناراً ، وكان أشده في شهر محرم مما دفع السلطة الى زيادة أعداد الحراس المسؤولين على حماية الغلات بسبب الخوف من السرقة [95] ووقع الغلاء ايضاً ببغداد سنة (630ه/1232م) مما تسبب في رفع أسعار السلع والمواد الغذائية ولاسيما القمح ، الذي بيع كر الواحد منه بنيف وثمانين ديناراً [96] وتكرر الغلاء سنة(645ه/1247م) وفقد القمح مما تسبب بزيادة أسعار الخبز كثيراً فبيع كل ثلاثة أرطال من الخبز بقيراط [97] ويمكن الملاحظة من خلال النصوص السابقة أن تلك الأزمات تسببت بوقوع

---

(82) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 6/ 318؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،31/19؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، 12/ 543؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 265؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة،31/3.

(83) ابن كثير، البداية والنهاية،10/ 284.

(84) ابن كثير، البداية والنهاية ،38/11.

(85) ابن كثير، البداية والنهاية،11/ 38.

(86) ابن كثير، البداية والنهاية،11/ 209.

(87) ابن كثير، البداية والنهاية،11/ 302؛ ابن الجوزي، المنتظم،196/14.

(88) ابن الاثير، الكامل في التاريخ،7/ 289.

(89) المن : كلمة مأخوذة من المنا الذي يوزن به ومقداره رطلان . ينظر: محمد، علي جمعة، المكاييل والاوزان الشرعية، ص28.

(90) ابن الجوزي، المنتظم،14/ 236.

(91) الذهبي، تاريخ الإسلام،475/26؛ ابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة ،4/ 164،144.

(92) ابن الجوزي، المنتظم ،14/ 329؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص293؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ،412/4؛الذهبي، تاريخ الإسلام،483/26.

(93) ابن الاثير، الكامل في التاريخ،461/7.

(94) الذهبي، تاريخ الإسلام،243/28؛ اليافعي، مرآة الجنان،20/3؛ ابن العماد ، شذرات الذهب،5/ 61.

(95) ابن الجوزي، المنتظم، 17/ 269.

(96) الذهبي، تاريخ الإسلام،50/45.

(97) الذهبي، تاريخ الإسلام،47/ 36.

العديد من المظاهر الاجتماعية السلبية التي منها انتشار السرقة التي لجأ اليها البعض من اجل تحصيل ما يسد جوعه وحالة الفقر التي بها ، كما كانت سبباً في ظهور حالات كثيرة من التسول واضطرار الناس الى مدّ اليد لتحصيل بعض الرزق لتوفير معاشهم اليومي.

2- موجات الوباء وآثارها السلبية على تذبذب الاسعار.

إن من الكوارث التي كان لها الأثر الأكبر على حياة الأنسان هي انتشار الأوبئة والأمراض التي راحت بسببها أعداد كبيرة من البشر وكانت بحق تمثل الخطر الأول على الإنسان فهي فاقت بقسوتها وشدتها الحروب الكبيرة، كما كان يصاحب موجات الوباء الارتفاع الحاد لأسعار السلع والبضائع المختلفة مما تزيد من المعانات بفعل آثارها السلبية على تذبذب الأسعار وانعكاسها على المجتمع.

ومن ذلك ما شهدته مدينة بغداد من موجات للوباء صاحبته أزمات اقتصادية وغلاء وتذبذب في الأسعار، ففي شهر جمادى الآخرة سنة(331ه/942م) ، تسبب انتشار الوباء بظهور موجة غلاء مما تسبب في رفع الأسعار وعجز الكثير من السكان عن تحصيل السلع والغذاء مما أدى إلى انتشار الجوع بين الناس نتيجة قلة المحصول مما تسبب بمجاعة كبيرة اضطر الناس فيها إلى أكل لحوم الكلاب وخرج الناس إلى المساجد يوم الاثنين من جمادى الآخرة يدعون الله تعالى أن يكشف البلاء والضر عنهم [98] ولولا قدوم الجراد في شهر آذار لأصاب الناس الفناء والموت، فقد خفف على الناس محنتهم فبيع كل خمسين رطلاً من الجراد بدرهم، فكان في ذلك معونة للفقراء لشدة غلاء الخبز[99] ومن آثار هذا الغلاء والوباء الحاصل خروج الكثير من التجار من بغداد إلى الشام ومصر هرباً من المحن[100]

وتستمر محن بغداد بسبب موجات الغلاء وتذبذب الأسعار ، فقد وقع غلاء شديد ببغداد سنة (333ه/944م) بسبب انتشار الغلاء والجوع بين الناس تسبب بفقدان السلع من الأسواق حتى اضطر الناس الى أكل الميتة والسنانير والكلاب[101] مما دفع الناس في الجانب الغربي من المدينة بالتظاهر، ومنع الصلاة والتشويش على الامام ، حتى انصرف أكثر الناس من صلاة يوم الجمعة [102] ورافق المحنة فقدان السلع وزيادة أسعارها مما اضطر العديد من الناس الى بيع منازلهم لشراء السلع الاساسية للحياة ، والقسم باع ممتلكاته مما دفع الناس للهجرة إلى البصرة بسبب الجوع فكان منهم من مات في الطريق ومنهم من وصل إليها بعد مدة قصيرة [103]

وتكرر الغلاء المصاحب للوباء ببغداد سنة (439ه/1047م) مما تسبب في فقد السلع والبضائع، حتى خلت الأسواق ، وزادت أسعار الأدوية التي يحتاج إليها المرضى ، فبيع المنّ من الشراب بنصف دينار، واللوز بخمسة عشر قيراطاً، والرمانة بقيراطين، والخيارة بقيراط[104] والناس يمرون في هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقاً فارغة وطرقات خالية ، وأبواباً مغلقة، ووحشة وعدم أنس[105]

وفي سنة (448ه/1056م) كان الغلاء شديداً على الناس صاحبه خوف ونهب كثير ببغداد بسبب الوباء الذي ضرب المدينة وتسبب في موت الكثير من الناس حتى دفن كثير من الناس بغير غسل ولا تكفين، وغلت أسعار الادوية التي يحتاج إليها المرضى [106] ثم عدمت الأشربة من الأسواق وبلغ ماوجد منها أسعاراً عالية ، فبلغ المنّ الواحد من الشراب ديناراً، وغلت الاسعار كثيراً والمكوك من بزر البقلة سبعة دنانير، والسفرجلة، والرمانة ديناراً، والخيارة والنيلوفرة ديناراً [107] فكان لابد لهذا أن يترك بالغ الأثر السيء على الناس في مدينة بغداد.

وبسبب الوباء الذي ضرب بغداد سنة(449ه/1057م) انتشر الغلاء حتى خلت الأسواق، وبلغت الأسعار مبالغ كبيرة، فبيعت كارة الدقيق السميد بثلاثة عشر ديناراً، والكارة من الشعير والذرة بثمانية دنانير، [108] فعجز الناس عن الشراء فاضطر الناس

(98) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله ،ص236.
(99) ابن الجوزي، المنتظم،27/14؛ ابن كثير، البداية والنهاية،232/11.
(100) ابن الجوزي، المنتظم،27/14.
(101) ابن كثير، البداية والنهاية،241/11؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،21/25.
(102) الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي لله ،ص 278.
(103) ابن كثير، البداية والنهاية،241/11؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،21/25.
(104) ابن الاثير، الكامل في التاريخ،8/ 65؛ ابو الفداء، المختصر،2/ 168؛ ابن الجوزي، المنتظم،308/15.
(105) ابن الكثير، البداية والنهاية،12/ 89.
(106) ابن الجوزي، المنتظم،5/16؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 144/8؛ ابن كثير، البداية والنهاية،12/ 86.
(107) ابن الجوزي، المنتظم،16/ 5؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 8/ 144.
(108)ابن الاثير، الكامل في التاريخ 8/ 149؛ ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 2/ 168.

الى أكل الميتة [109] وقد نقل ابن كثير وصفاً لتلك الاحداث فذكر:" ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة فيها كان الغلاء والفناء مستمرين ببغداد وغيرها من البلاد، بحيث خلت أكثر الدور وسدت على أهلها أبوابها بما فيها، وأهلها موتى فيها، ثم صار المار في الطريق لا يلقى الواحد بعد الواحد وأكل الناس الجيف والنتن من قلة الطعام ، وكان الفقير تعرض عليه الدنانير الكثيرة والدراهم والثياب فيقول: أنا أريد كسرة أريد ما يسد جوعي، فلا يجد ذلك، ومما زاد في المحنة حدث في يوم الأربعاء لسبع بقين من جمادى الآخرة حريق كبير في سوق الطعام ، وسوق العطارين وسوق الخشابين والجزارين والتمارين، والصفارين والصباغين وغير ذلك من الأسواق، فكانت مصيبة أخرى تحل بالناس مع الجوع والغلاء والفناء، كما كثر اللصوص ببغداد، وأخذوا الأموال جهاراً، وكبسوا الدور ليلاً ونهاراً" [110]

وتعرضت بغداد سنة (517ه/1123م) الى الغلاء وارتفاع اسعار السلع والبضائع بسبب الوباء مما تسبب في رفع الاسعار، فبلغ ثمن كارة الدقيق الخشكار ستة دنانير وعشرة قراريط، وتبع ذلك أمراض هلك فيها كثيراً من الناس [111]

3- الظواهر الطبيعية وآثارها السلبية على تذبذب الاسعار.

كوّنت الظواهر الطبيعية عاملاً اضافياً من عوامل تذبذب الأسعار وبروز موجات الغلاء والتي كان لها أثر سلبي كبير في مجمل الحياة الإنسانية وهذا التهديد سبب مأساة إنسانية كبيرة ذهبت بسببها أرواح أعداد من السكان فضلا" عن تدمير العمران والممتلكات وانتشار الغلاء بسبب فقد السلع والمواد من الأسواق .

فقد نال الناس ببغداد غلاء شديد سنة (231ه/942م) بسبب الجفاف وندرة الأمطار مما تسبب في رفع الأسعار فبلغ سعر كر الدقيق مائة دينار مما انعكست آثاره على الناس فجهد الناس وعانوا من ضيق العيش بسبب الغلاء ، لذا أمر الخليفة الواثق بالله [112] بتوزيع الأموال والسلع على الناس ببغداد وغيرها للتخفيف عن الناس فكانت قيمة ماوزع من النقد ستمائة ألف دينار بخلاف السلع والغذاء ، كما أمر بإلغاء ما كان يتحصل من التجار من ضريبة العشر على البضائع التي ترد اليهم من بلاد الهند والصين ، وعلل ذلك بقوله:" هؤلاء تجار مسلمون يغدون بأموالهم وأنفسهم ويركبون البحر فيطول مكثهم فيه فأمر بإسقاط العشر عنهم "[113]

وفي سنة (302ه/914م) كان ببغداد غلاء شديد، بسبب الجفاف وعدم سقوط الأمطار الا قليلاً في ربيع الأول، وانقضى تشرين الأول وتشرين الثاني، والكانونان ، وشباط ، ولم يسقط المطر مما تسبب بظهور الغلاء لفقدان السلع والمواد الغذائية من الأسواق لدرجة رخصت أسعار العقار ببغداد والأثاث حتى بيع ما ثمنه دينار بدرهم وكل ذلك لأجل تحصيل الناس قوت يومهم [114] وأصاب مدينة بغداد الغلاء في سنة (329ه/940م) وذلك بسبب احتباس الأمطار وعدم سقوطها ورافقه ظهور الوباء مما أسهم بقلة المحاصيل الزراعية وارتفاع اثمانها فبلغ سعر الكرّ الواحد من الدقيق مائة وثلاثين ديناراً [115] ثم زاد حتى بلغ سعر الكرّ الواحد من الدقيق مائة وستين ديناراً [116] وبالمقابل انخفضت أسعار الدور والمنازل بسبب زهد الناس بها لأجل توفير لقمة العيش لعوائلهم [117]

وتسبب عدم سقوط الأمطار سنة (330ه/941م) بظهور الغلاء وارتفاع الأسعار بمدينة بغداد وما حولها بسبب نقص المحاصيل والسلع فبلغ الكرّ من الدقيق مائة وثلاثين ديناراً [118] ثم ارتفع سعر الكر الواحد من القمح الى مائتي دينار وعشرة

(109) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 8/ 149؛ النويري، نهاية الأرب،23/ 12.
(110) ابن كثير، البداية والنهاية،89/12.
(111) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 8/ 690.
(112) الواثق بالله وهو أبو جعفر هارون بن المعتصم بالله بن الرشيد التاسع من خلفاء بني العباس بالعراق وأمه رومية اسمها قراطيس بويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه أبوه المعتصم لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة (227ه/841م) توفي بسامراء يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة(232ه/943م) وعمره يومئذ ست وثلاثون سنة وأشهر وقيل سبع وثلاثون ودفن بسامراء وصلى عليه أخوه المتوكل ومدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام. ينظر: ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص111؛ ابن الجوزي، المنتظم ،11/ 184؛ الديار بكري،[تاريخ الخميس،337/2؛القلقشندي، مآثر الإنافة ،1/ 225،224.
(113) القلعي، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن القَلْعي الشافعي(630ه/1233 م)، تهذيب الرياسة وترتيب السياسة، تحقيق: إبراهيم يوسف مصطفى عجو، ط1، مكتبة المنار ،(الأردن/ الزرقاء: د.ت)، ص385.
(114) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 7/ 98.
(115) مسكويه ، تجارب الأمم، 6/ 38؛ النويري، نهاية الأرب،23/ 91.
(116) المقدسي، تكملة تاريخ الطبري،ص120؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،24/ 62.
(117) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،7/ 98؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،24/ 62؛ النويري، نهاية الأرب ،23/ 91.
(118) مسكويه، تجارب الأمم،6/ 38.

دنانير[119] ، وبيع الخبز أربعة أرطال بقيراطين [120] والكر الواحد من الشعير بيع بمبلغ مائة وعشرين دينارا[121] واستمر الغلاء حتى عجز الناس عن تحصيل معاش يومهم مما تسبب بوقوع أعمال النهب والسرقة بسببه ، فزادت معاناة الناس كثيراً بعد أن بلغ سعر الكر الواحد من القمح ثلاثمائة وستة عشر ديناراً، ثم عم البلاء بزيادة دجلة، فبلغت عشرين ذراعاً، فأغرق الكثير من الناس [122] وأكل الضعفاء الميتة، ودام الغلاء وتقطعت السبل وشُغل الناس بالمرض والفقر[123] وخرجوا يستغيثون في الطرقات[124] استمر الحال على ذلك حتى نزل المطر في نهاية الموسم ففاضت، الطرق ودخل الماء دور الناس، وحدث رخاء [125]

وتسبب احتباس الامطار وتأخر نزولها سنة (423ه/1031م) بحدوث غلاء وارتفاع بالأسعار في مدينة بغداد ، وتبعه حدوث وباء مما زاد من معاناة الناس ولاسيما الفقراء منهم[126] وتكرر احتباس الامطار على بغداد سنة (512ه/1118م) فقلت بسببه المحاصيل الزراعية كثيراً وتسببت بحدوث ندرة في المحاصيل والمواد في أسواق بغداد نجم عنه الغلاء وارتفاع الأسعار كثيراً ومما زاد في معاناة الناس ، كما أدت قلة المحاصيل والسلع الى تفاقم أمر العيارين والصوص في بغداد، الذين نهبوا الدور نهاراً جهاراً بسبب الجوع ، ولم تستطع الشرطة دفع ذلك[127]

كما انعدمت المحاصيل والسلع الأساسية ببغداد سنة(534ه/1139م) بسبب احتباس المطر، الذي لم يسقط غير مرة واحدة في آذار، مما تسبب في انتشار الجفاف وفقدان المحاصيل مما أدى الى رفع الأسعار وحدوث الغلاء بعدما فقدت المحاصيل من الأسواق[128]

وتسبب انعدام سقوط الامطار في اغلب العراق ومنها بغداد سنة (574ه/1178م) في اشتداد الغلاء في البلاد والذي استمر حتى سنة (575ه/1179م)، ونتج عنه قلة المحاصيل الزراعية وارتفاع أسعارها الذي تسبب في انتشار الجوع والفقر بسببه وخرج الناس يستسقون فلم يسقوا [129]، وزاد من الازمة أن نهر دجلة لم تحدث زيادة به بسبب ذلك الجفاف ، والذي انعكس بطبيعة الحال على قلة المحاصيل الزراعية وزيادة اسعارها فارتفعت الاسعار وبلغ الخبز كل ستة أرطال بقيراط والشعير كل أربعة أرطال بحبة ، مما انعكس تأثيرها السلبي على حياة الناس [130] ودام ذلك التأثير السلبي إلى آخر سنة (575ه/1179م) ، ثم تبعه بعد ذلك وباء، تسبب في موت الكثير من الناس، ولم تنخفض الأسعار حتى سقطت الأمطار [131]

وشهدت سنة (621ه/1224م) حدوث غلاء كبير في بغداد بسبب احتباس الأمطار مما تسببت في قلة المحاصيل الزراعية وفاقم الوضع سوءاً انتشار الجراد، الذي أكل ما ظهر من المزروعات، ولم يترك الا القليل منها، فغلت الأسعار واشتد الغلاء والمرض بين الناس [132]

ومثلما كان لاحتباس الامطار وعدم سقوطها وقلة المياه اثره السلبي الكبير في ظهور الأزمات الاقتصادية، كذلك كان لتساقط الامطار وبكميات كبيرة لمدة طويلة وتكون السيول، اثرها السلبي ايضا على المحاصيل الزراعية وبالتالي ينعكس اثره في ظهور الأزمات الاقتصادية بسبب اتلافه للمحاصيل والغلال الزراعية مما ينعكس على تذبذب الأسعار التي ترتفع مما ينعكس بالسلب على حياة الناس.

ومن ذلك ما شهدته بغداد سنة (332ه/943م) ولاسيما في شهر جماد الأولى ، فقد حصل غلاء في الأسعار نتيجة كثرة الامطار المتساقطة والتي تسببت في هدم العديد من المنازل مما تسبب في وقوع العديد من القتلى بسبب ذلك فقد قضى كثير من

---

(119) الذهبي، تاريخ الإسلام ،24/ 67؛ العبر في خبر من غبر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت،(الكويت:1984)،2/ 225؛ ابن العماد، شذرات الذهب،4/ 167.

(120) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 7/ 111.

(121) الذهبي، تاريخ الإسلام،24/ 67؛ العبر، 2/ 35؛ ابن العماد ، شذرات الذهب4/ 167.

(122) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص341؛ اليافعي، مرآة الجنان ، 2/ 223.

(123) ابن كثير، البداية والنهاية، 11/ 228.

(124) الذهبي، تاريخ الإسلام،24/ 67.

(125) ابن الجوزي، المنتظم19/14؛ ابن كثير، البداية والنهاية،11/ 228.

(126) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 7/ 754.

(127) ابن كثير، البداية والنهاية،12/ 226.

(128) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 9/ 109.

(129) أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي(ت665هـ/1266م)، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ط1، مؤسسة الرسالة،(بيروت:1418هـ/ 1997م)، 3/ 18.

(130) ابن الجوزي، المنتظم،18/ 250.

(131) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 9/ 436؛ أبو شامة، عيون الروضتين،3/ 18؛ ابن كثير، البداية والنهاية ،12/ 368.

(132) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 10/ 387؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،45/ 12؛ ابن كثير، البداية والنهاية،13/ 124.

الناس تحت الهدم وتعطلت أكثر المساجد من قلة الناس[133] وتعطلت الأسواق ، حتى صار يطلب من يسكن الدور بأجرة ليحفظها ولا يجد، وزاد الامر سوءاً عندما جاء في شباط مطر وبرد ، ووقع في شهر آذار جليد كثير اتلف أكثر الزرع [134] وبسبب ذلك نقصت قيمة العقار حتى بيع منه بالدرهم ما يساوي الدينار وخلت الدور وكان الدلالون يعطون من يسكنها أجرة ليحفظها من الداخلين إليها ليخربوها وكثرت الكباسات من اللصوص بالليل حتى كان الناس يتحرسون خشية السرقة[135] وما زالت قيمة العقار ببغداد تنقص، ويزداد الغلاء، حتى بلغ الخبز الخشكار ثلاثة أرطال بدرهم، والتمر رطلان بدرهم، وأغلقت [136]

كما تسببت العواصف والرياح والأمطار التي تعرضت لها بغداد في المدة مابين شهر محرم الى شهر شعبان من سنة (378ه/988م) بهدم الكثير من الأبنية، وغرق العديد من السفن التي كانت تحمل السلع والغلال مما أدى الى الغلاء وارتفاع الأسعار بسبب انعدام السلع[137]

وتسبب سقوط الأمطار بكثرة سنة (502ه/1108م) بزيادة منسوب نهر دجلة ببغداد ، ففي نيسان زاد نهر دجلة زيادة كبيرة تسببت بانقطاع الطرق عنه، واغراق المحاصيل والغلال، مما تسبب بحدوث غلاء كبير بسبب اتلاف المياه لتلك المحاصيل وصعوبة وصول الغلال الى بغداد بسبب الفيضانات مما تسبب في انتشار الفقر والغلاء [138] ونتيجة ذلك الغلاء والفيضانات ارتفعت الاسعار كثيراً فبيعت الكارة من الشعير بثمانية دنانير [139] و بلغت كارة الدقيق الخشكار عشرة دنانير، وعدم الخبز [140] مما اضطر الناس الى أكل التمر والباقلاء الأخضر، وأما المناطق الجنوبية فقد عدمت عندهم المحاصيل في شهر رمضان ونصف شوال وأضطر الناس الى اكل الحشيش والتوت[141]

الخاتمة

- ❖ للأزمات الاقتصادية آثار سلبية على أسعار السلع والمواد الغذائية والتي ينعكس تأثيرها السلبي على مجمل حياة الانسان اليومية وهذا ما رافق الانسان في العصور والازمنة كافة ، ولقد تمثل ذلك التأثير من خلال تبيان حركة الأسعار للسلع والمواد وتفاوتها وتذبذبها ما بين الارتفاع والهبوط .
- ❖ تعرضت مدينة بغداد إلى العديد من الأزمات الاقتصادية التي كان لها الاثر السلبي والكبير على مجمل حياة الناس، وقد اوردت المصادر التاريخية وصفاً دقيقاً لما عانت وقاست منه مختلف شرائح المجتمع فيها ، وما تركته من آثار سلبية بالغة.
- ❖ كان سبب الازمات الاقتصادية يعود الى عوامل مختلفة منها العامل البشري وتمثلت تلك في الفوضى السياسية والحروب والنزاعات إلى غير ذلك من الأسباب التي نالت من الناس ولاسيما الفقراء منهم أشد النيل من جوع وتشريد ووفاة للكثير منهم، كما كانت الطبيعية كالجفاف والقحط والسيول وغيرها وما رافقها من انتشار للأوبئة والأمراض المختلفة ، سبباً في ظهور الأزمات الاقتصادية وتركت اثرها على أسعار السلع والمواد الغذائية وهو ما انعكس سلباً على حياة الناس بالقهر والظلم وضنك العيش .
- ❖ ومن الملاحظ أن تلك الأزمات الاقتصادية وانعكاسها السلبي على أسعار السلع والمواد الغذائية قد تكررت كثيراً ببغداد، وتسببت في اثقال كاهل عوام الناس وزادت في محنة معاشهم واجبرت قسماً منهم على الهجرة إلى المناطق اخرى.
- ❖ كان فرض المكوس والضرائب التي كانت تجبى بأوقات مختلفة ولم تكن ثابتة ، له عظيم الاثر على الناس وكانت سبباً في تدهور معاشهم وارزاقهم من خلال رفع الأسعار في الأسواق وإثقال كاهل التجار والباعة والذي انعكس بدوره على حياة عامة الناس في صعوبة توفير متطلبات معاشهم، مما كان يدفع الناس الى التذمر ولاسيما أنها كانت تجبى بطرق تعسفية ومهينة.

---

(133) ابن العماد، شذرات الذهب، 179/4؛ السلمان، عبد العزيز بن محمد ، موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، ط30،(المملكة العربية السعودية:1424هـ)،1/ 511.

(134) ابن الجوزي، المنتظم،14/ 34.

(135)ابن العماد ، شذرات الذهب، 179/4؛ السلمان ، موارد الظمآن،1/ 510.

(136) ابن الجوزي، المنتظم،14/ 34.

(137) ابن كثير، البداية والنهاية،11/ 349؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،26/ 483.

(138)ابن كثير، البداية والنهاية ،12/ 210؛ النويري، نهاية الأرب،23/ 258.

(139)ابن الجوزي، المنتظم،17/ 112.

(140)ابن الاثير، الكامل في التاريخ 8/ 573.

(141)[[الكامل في التاريخ 8/ 573] [نهاية الأرب في فنون الأدب 23/ 258]259

- كانت شدة الازمات الاقتصادية وانعدام المؤن والسلع وغلا{ها، سبباً في جعل البعض من الناس الفقراء المعدومين يضطرون الى أكل الكلاب والقطط والميتة للبقاء على قيد الحياة، ومنهم من باع داره واثاثه بغية الحصول على الغذاء، كذلك لجأ بعضهم إلى السرقة والقيام بأعمال النهب والسلب.

English Sources:

1- Ibn al-Atheer, Izz al-Din Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karam Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim ibn Abd al-Wahid al-Shaibani (d. 630 AH / 1232 AD), al-Kamil fi al-Tareekh, edited by: Omar Abd al-Salam Tadmouri, 1st edition, Dar al-Kitab al-Arabi, (Beirut: 1417 AH / 1997 AD)

2- Ibn al-Azraq, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Ali bin Muhammad al-Asbahi al-Gharnati (d. 896 AH / 1490 AD), Bada'i al-Silk fi Ta'ib al-Mulk, 1, investigated by: Dr. Ali Sami al-Nashar, Ministry of Information, (Iraq: d. T.)

Ibn Taghri Bardi - Abu Almahasin Jamal Aldin Yusuf bin Taghri Bardi bin Abdullah Al-Dhahiri (d. 874 AH / 1469 AD)

3- The shining stars in the kings of Egypt and Cairo, Ministry of Culture and National Guidance, Dar Al-Kutub, (Egypt: d.t.)

4- The Resource of Kindness in the Crown Prince of the Sultanate and the Caliphate, investigated by: Nabil Muhammad Abdul Aziz Ahmed, Egyptian House of Books, (Cairo: d.t.)

5- Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman ibn Ali ibn Muhammad (d. 597 AH / 1200 AD), The Regular in the History of Nations and Kings, edited by: Muhammad Abd al-Qadir Atta, Mustafa Abd al-Qadir Atta, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, (Beirut: 1412 AH / 1992 AD)

6- Al-Juwayni, Rukn Al-Din Abu Al-Ma'ali Abdul Malik bin Abdullah bin Yusuf bin Muhammad Al-Juwayni (d. 478 AH / 1085 AD), Ghayath Al-Ummal fi Al-Taiyath Al-Injustice, investigated by: Abdul Azim Al-Deeb, 2nd Edition, Imam Al-Haramain Library, (Riyadh: 1401 AH)

7- Al-Hamawi, Shihab Al-Din Abu Abdullah Yaqut bin Abdullah Al-Rumi (d. 626 AH / 1228 AD), Dictionary of Countries, 2nd Edition, Dar Sader, (Beirut: 1995 AD)

8- Al-Humairi, Nashwan bin Saeed Al-Humairi Al-Yamani (d. 573 AH / 1177 AD), Shams Al-Uloom and the Medicine of the Words of the Arabs from Al-Kalum, investigated by: Dr. Hussein bin Abdullah Al-Omari, and others, 1st Edition, (Dar Al-Fikr Al-Muasram: Beirut / Dar Al-Fikr: Damascus: 1420 AH / 1999 AD)

9- Al-Khatib Al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmed bin Ali bin Thabit bin Ahmed bin Mahdi (d. 463 AH / 1070 AD), History of Baghdad, investigated by: Dr. Bashar Awad Maarouf, 1st Edition, Dar Al-Gharb Al-Islami, (Beirut: 1422 AH / 2002 AD)

10- Ibn Khaldun, Abu Zayd Wali al-Din Abd al-Rahman ibn Muhammad al-Hadrami al-Ishbili (d. 808 AH / 1405 AD), Ibn Khaldun's well-known history (Diwan al-Mubtada wa al-Khabar fi Tareekh al-Arab, Berber and their contemporaries of the greatest importance), edited by: Khalil Shehadeh, 2nd edition, Dar al-Fikr, (Beirut: 1408 AH / 1988 AD)

11- Dahman, Muhammad Ahmad, Dictionary of Historical Words in the Mamluk Era, 1st Edition, (Dar Al-Fikr Al-Maaser Beirut, Dar Al-Fikr Damascus: 1410 AH / 1990 AD)

12- Al-Diyar Bakri, Hussein bin Muhammad bin Al-Hassan (d. 966 AH / 1558 AD), Date of Thursday in the conditions of the souls of the precious, Dar Sader, (Beirut: d.t.)

Al-Dhahabi, Shams al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Uthman ibn Qaymaz (d. 748 AH/1347 AD)
13- Lessons in the news of Ghabr, investigated by Dr. Salah Al-Din Al-Munajjid, Kuwait Government Press, (Kuwait: 1984)
14- The History of Islam and the Deaths of Celebrities and Figures, investigated by: Omar Abdel Salam Al-Tadmoury, 2nd Edition, Dar Al-Kitab Al-Arabi, (Beirut: 1413 AH / 1993 AD)
15- Biographies of the Nobles, investigated: a group of investigators under the supervision of Sheikh Shuaib Al-Arnaout, 3rd Edition, Al-Resala Foundation, (Beirut: 1405 AH / 1985 AD)
16- Al-Razi, Zain al-Din Abu Abdullah Muhammad ibn Abi Bakr ibn Abd al-Qadir (d. 666 AH / 1267 AD), Mukhtar al-Sahih, edited by: Yusuf al-Sheikh Muhammad, 5th edition, Al-Asriya Library - Model House, (Beirut/Sidon: 1999 AD)
17- Al-Zarkali, Khair al-Din bin Mahmoud bin Muhammad bin Ali bin Faris, al-Dimashqi (d. 1396 AH / 1972 AD), Flags, 15th Edition, Dar al-Ilm li-Malayin, (Beirut: 2002 AD)
18- Al-Salman, Abdul Aziz bin Muhammad, Thirsty Resources for the Lessons of Time, Sermons, Judgment, Rulings, Rules, Sermons, Etiquette and Ethics of Hassan, 30th Edition, (Saudi Arabia: 1424 AH)
19- Ibn Sayyida, Abu al-Hasan Ali ibn Ismail al-Mursi (d. 458 AH / 1065 AD), al-Mukhaddas, edited by: Khalil Ibrahim Jaffal, 1st Edition, House of Revival of Arab Heritage, (Beirut: 1417 AH / 1996 AD)
20- Al-Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman ibn Abi Bakr (d. 911 AH / 1505 AD), History of the Caliphs, edited by: Hamdi Al-Demerdash, 1st Edition, Nizar Mustafa Al-Baz Library, (Egypt: 1425 AH / 2004 AD)
21- Abu Shama, Abu al-Qasim Shihab al-Din Abd al-Rahman ibn Ismail ibn Ibrahim al-Maqdisi (d. 665 AH / 1266 AD), al-Rawdatain fi Akhbar al-Dawlatin al-Nuriyya wa al-Salahiyyah, edited by: Ibrahim al-Zaybak, 1st edition, al-Resala Foundation, (Beirut: 1418 AH / 1997 AD)
22- Al-Shathr, Taiba Saleh, The Words of Abbasid Civilization in the Works of Al-Jahiz, 1st Edition, Dar Aqba for Printing, Publishing and Distribution, (Cairo: 1998)
23- Al-Sabi, Abu al-Hasan al-Hilal ibn al-Muhsin (d. 448 AH / 1056 AD), Tuhfat al-Amir fi Tareekh al-Wazir, edited by: Abd al-Sattar Ahmed Farrag, Library of Notables (Cairo/d.t.)
24- Al-Safadi, Salah al-Din Khalil bin Aybak bin Abdullah (d. 764 AH / 1362 AD), Al-Wafi Al-Wafiyat, edited by: Ahmad Al-Arnaout and Turki Mustafa, Dar Ihya Al-Turath, (Beirut: 1420 AH / 2000 AD)
25- Al-Sawli, Abu Bakr Muhammad bin Yahya bin Abdullah (d. 335 AH / 946 AD), Akhbar Al-Radi Billah and Al-Muttaqi Allah, edited by: J. Heworth Dunn, Al-Sawy Press, (Egypt: 1935 AD)
26- al-Tabari, Abu Ja'far Muhammad bin Jarir bin Yazid bin Kathir bin Ghalib al-Amali (d. 310 AH / 922 AD), Tareekh al-Tabari (History of the Messengers and Kings), 2nd Edition, Dar al-Turath, (Beirut: 1387 AH)
27- Ibn al-Tuqtaqi, Muhammad ibn Ali ibn Tabataba (d. 709 AH / 1309 AD), honorary in royal literature and Islamic countries, edited by: Abdul Qadir Muhammad Mayo, 1st edition, Dar al-Qalam al-Arabi, (Beirut: 1418 AH / 1997 AD)

28- Ibn Abd al-Haq al-Baghdadi, Safi al-Din Abd al-Mu'min ibn Abd al-Haqq, Ibn Shama'il al-Qaiti al-Baghdadi al-Hanbali (d. 739 AH/1338 AD), Observatories of Access to the Names of Places and Bekaa, 1st Edition, Dar Al-Jeel, (Beirut: 1412 AH)
29- Ibn al-Imad al-Hanbali, Abu al-Falah 'Abd al-Hai ibn Ahmad ibn Muhammad al-Ekri (d. 1089 AH / 1678 AD), Gold Nuggets in the News of Gold, edited by: Mahmoud al-Arnaout, narrated by Abd al-Qadir al-Arnaout, 1st edition, Dar Ibn Kathir, (Damascus: 1406 AH / 1986 AD)
30- Omar, Ahmed Mukhtar Abdel Hamid, Dictionary of the Contemporary Arabic Language, 1st Edition, World of Books, (Beirut: 1429 AH / 2008 AD)
31- Ibn al-Amrani, Muhammad ibn Ali ibn Muhammad al-Maarouf (d. 580 AH / 1184 AD), al-Anbaa fi Tareekh al-Khulafa', edited by: Qasim al-Samarrai, 1st edition, Dar al-Afaq al-Arabiya, (Cairo: 1421 AH / 2001 AD)
32- Al-Omari, Shihab al-Din Ahmad bin Yahya bin Fadl Allah al-Qurashi al-Adawi (d. 749 AH / 1057 AD), Paths of Sight in the Kingdoms of Al-Amsar, Cultural Foundation, 1st Edition, (Abu Dhabi: 1423 AH)
33- Ibn Faris, Abu al-Husayn Ahmad ibn Faris ibn Zakariya al-Qazwini (d. 395 AH / 1004 AD), Dictionary of Language Standards, edited by: Abd al-Salam Muhammad Haroun, Dar al-Fikr, (Damascus: 1399 AH / 1979 AD)
34- Al-Fida', Al-Malik Al-Mu'ayyad Imad Al-Din Ismail bin Ali bin Mahmoud bin Muhammad bin Omar bin Shahanshah bin Ayyub (d. 732 AH / 1331 AD), Al-Mukhtasar fi Akhbar Al-Bishr, Egyptian Husseiniya Press, 1st Edition, (Egypt: Dr. T.)
35- Al-Qurtubi, Oraib bin Saad (d. 369 AH / 979 AD), The Connection of the History of Al-Tabari, Al-Alami Foundation for Publications, (Beirut: d.t.)
36- Al-Qala'i, Abu Abdullah Muhammad bin Ali bin Al-Hassan Al-Qala'i Al-Shafi'i (630 AH / 1233 AD), Refinement of Leadership and the Order of Politics, edited by: Ibrahim Yusuf Mustafa Ajjo, 1st Edition, Al-Manar Library, (Jordan / Zarqa: DT)
37- Al-Qalqalshandi, Ahmed bin Ali bin Ahmed Al-Fazari (d. 821 AH / 1418 AD), The Exploits of Al-Inafa in the Landmarks of the Caliphate, investigated by: Abdul Sattar Ahmed Farraj, 2nd Edition, Kuwait Government Press, (Kuwait: 1985)
38- Ibn Kathir, Abu al-Fida Ismail bin Omar al-Qurashi (d. 774 AH / 1372 AD), The Beginning and the End, edited by: Ali Shiri, 1st Edition, House of Revival of Arab Heritage, (Beirut: 1408 AH / 1988 AD)
39- Mohamed, Ali Gomaa, Weights and Weights Sharia, Jerusalem Advertising, Publishing and Marketing, 2nd Edition, (Cairo: 2001)
40- Al-Mas'udi, Abu al-Hasan 'Ali ibn al-Husayn ibn 'Ali (d. 346 AH/957 CE), Warning and Supervision, edited by Abdullah Ismail al-Sawi, Dar al-Sawi, (Cairo: d.t.)
41- Ibn Miskawayh, Ahmad ibn Muhammad ibn Ya'qub (d. 421 AH / 1030 AD), Experiences of Nations and the Succession of Determination, edited by: Abu al-Qasim Emami, 2nd Edition, Soroush, (Tehran: 2000 AD)
42- Al-Maqdisi, Abu al-Hasan Muhammad ibn Abd al-Malik ibn Ibrahim ibn Ahmad al-Hamadhani (d. 521 AH / 1127 AD), Supplement to the History of al-Tabari, edited by: Albert Youssef Kanaan, Catholic Press, 1st Edition, (Beirut: 1958)

43- Al-Manawi, Zain al-Din Muhammad Abd al-Raouf ibn Taj al-Arefin ibn Ali ibn Zain al-Abidin al-Haddadi (d. 1031 AH / 1621 AD), Fayd al-Qadeer, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st edition, (Beirut: 1415 AH / 1994 AD)
44- Ibn Manzur, Jamal al-Din Muhammad ibn Makram ibn Ali, Abu al-Fadl (d. 711 AH / 1311 AD), Lisan al-Arab, 3rd Edition, Dar Sader, (Beirut: 1414 AH)
45- Nizam al-Mulk, Abu Ali Qawam al-Din al-Hasan ibn Ali ibn Ishaq al-Tusi (d. 485 AH/1092 AD), Siastnamah or Sir al-Muluk, edited by: Yusuf Hussein Bakkar, 2nd Edition, Dar al-Thaqafa, (Qatar: 1407)
46- Nekri, Judge Abd al-Nabi ibn Abd al-Rasoul al-Ahmad (d. 12 AH / 17 AD), Constitution of the Scholars (Jami' al-Uloom fi Terminology of Arts), translated from Persian: Hassan Hani Fahs, 1st Edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, (Beirut: 1421 AH / 2000 AD)
47- Al-Nawawi, Abu Zakaria Muhyi al-Din Yahya bin Sharaf (d. 676 AH / 1277 AD), editing the words of warning, edited by: Abdul Ghani Al-Daqr, 1st Edition, Dar Al-Qalam, (Damascus: 1408)
48- Al-Nuwairi, Shihab Al-Din Ahmed bin Abdul Wahhab, The End of the Lord in the Arts of Literature, achieved by: Mufid Qamha, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, (Beirut: 1424 AH / 2004 AD)
49- Al-Wardi, Zain al-Din Abu Hafs Omar bin Muzaffar bin Omar bin Muhammad bin Abi al-Fawares (d. 749 AH / 1057 AD), Tarikh Ibn al-Wardi, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st edition, (Beirut: 1417 AH / 1996 AD)
50- Al-Yafi'i, Abu Muhammad Afif al-Din Abdullah bin Asaad bin Ali bin Suleiman (d. 768 AH / 1366 AD), The Mirror of the Heavens and the Lesson of Vigilance in Knowing What is Considered to Be One of the Incidents of Time, Footnotes: Khalil Al-Mansour, 1st Edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, (Beirut: 1417 AH / 1997 AD)